الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٢ — الخميس ١٧ شعبان ١٣٨٣ هـ — ٢ يناير ١٩٦٤ م · السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

لقاء الاسلام والمسيحية في القدس

بمناسبة الزيارة البابوية لفلسطين

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان للاسلام السمح في لقائه النصارى ببيت المقدس موقفان كريمان لا يزالان في فم الزمان أنشودة فخر وفي تاريخ الانسان آية كرم : أحدهما يوم أخذه عمرو بن العاص من الروم البيزنطيين ، والآخر يوم استرجعه صلاح الدين من الفرنج الصليبيين .

كان من أمر موقفه الاول ان المسلمين الفاتحين حاصروا القدس اربعة أشهر حصار استبقاء ورفق لانها اقدس البلاد عندهم بعد مكة والمدينة ، وان المسيحيين المحاصرين دافعوا عنها دفاع استبسال وعنف لانها موضع الآثار المقدسة والكنيسة العظمى . فلما كربهم الحصار ومسهم الضر ، خضع أرطبون الروم لارطبون العرب وظهر على سور المدينة البطريرك (سفرنيوس) يطلب الاستسلام والسلام ولا شرط له الا ان يكون المتولى لعقد الصلح امير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه توكيدا للامان وتوثيقا للعهد . فسار الخليفة حتى نزل بالجابية من أعمال الشام ، فوجد في استقباله يزيد وابا عبيدة وخالدا وعليهم الديباج والحرير فاستطير من الغضب واخذ يقذفهم بالحجارة وهو يقول : « سرعان مالفتم عن رايكم ! ! اياى تستقبلون بهذا الزى ؟! انما شبعتم منذ سنتين ! سرعان ما ندت بكم البطنة ! . . والله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم

غيركم !... » فقالوا يا امير المؤمنين : انها بمالقه (١) وان علينا السلاح • فقال : نعم اذن » وجاءته رسل ايلياء يطلبون السلام فسالهم وكتب لهم هذا العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان : اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، ولسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم **ولا من شيء من اموالهم ،** ولايكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم

ولا يسكن ايلياءمعهم احد من اليهود . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مامنه . ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وبيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مامنهم .... وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ... وعلى ماق هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية ، وكتب وحضر سنة ١٥» .

وبعد ان اعطاهم هذا العهد شخص الى بيت المقدس وسار حتى دخل كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك أريد الصلاة ، فقال له : صل موضعك . فامتنع وصلى منفردا على الدرجة التى على باب الكنيسة . فلما قضى الصلاة ، قال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة لاخذها المسلمون من بعدى وقالوا هنا صلى عمر ، وكتب لهم الا يجمع على الدرجة للصلاة ، ولا يؤذن عليها ، ثم قال : ارنى موضعا ابنى عليه مسجدا ، فقال على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب ، فوجد عليها ردما كثيرا . فاخذ يزيله بيده ويرفعه فى ثوبه واقتدى به المسلمون فازالوه لحينه وامر ببناء المسجد •

وكان من امر موقفه الآخر ان المسيحيين والمسلمين عاشوا فى ظلال العهد العمرى عيش الاخاء والرخاء حتى نقضه الناسك بطرس ومن استجر له من المستعمرين الصليبيين ، فاستولى الفرنسيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ بقيادة (جودفروا دى بويون) بعد ما ذبحوا من المسلمين سبعين الفا ذبح الخراف حتى بلغت دماؤهم المسفوكة فى محراب داود ومسجد عمر ركبتى الفارس الصليبى كما قال المؤرخ الفرنسى (فنك برنتانو) . وظلوا ينشرون الفزع والجوع والذل فى فلسطين والشام احدى وتسعين سنة تبددت فى عواصفها اضواء الاسلام . وتطامنت فى زلازلها كبرياء العروبة . حتى تداركهما الله بالجيش المصرى فسحق الصليبيين فى (حطين) .

وانخلعت لهذا النصر المبين قلوب الامراء المستقلين بالمدن الساحلية من فلسطين وسورية ، فاستسلموا لصلاح الدين ونزلوا على حكمه ، وتطهرت فلسطين من رجس الدخيل فلم يبق فى ايدى الفرنج منها الا القدس وقد لجأ اليها المنهزمون من المدن المفتوحة فسار اليها السلطان البطل من عسقلان ، وكان حريصا حرص عمرو بن العاص على ان يجنبها ويلات الحرب لقداستها المشتركة بين الاديان الثلاثة . فاستوفد اليه بعض زعمائها وطلب منهم تسليم المدينة فابوا الا القتال . فاقسم الا ياخذها الا بالسيف . وامر الجيش فسلط على اسوارها المنيعة قذائف الدمار . فلما استيقن (بليان) ان السور لا يمنع وان القتال لا يدفع ، طلب الامان فاجابه اليه بعد ان افتاه الفقهاء بأن ما وقع من القتال وراء السور كاف لابرار قسمه ، وان فى وسعه ان يعتبر من فى المدينة من الصليبيين اسرى حرب . فجعل الفداء عشرة دنانير عن كل رجل ، وخمسة عن كل امراة ودينارا عن كل طفل . واجلهم اربعين يوما يؤدون اليه فيها الفداء ، فمن وجد منهم فى المدينة بعد انقضاء الاجل المضروب أصبح مملوكا للسلطان •

(١) بمالقة : جمع يلق وهو القباء المحشو .

ودخل جيشنا المدينة دخول الفاتحين مكة : ذكر الله على لسانه ، وتقواه ملء قلبه ، فلا عين تمتد الى متاع ، ولايد تنبسط بمكروه ، وقام الجباة على الابواب ، فخرج (يليان) ومعه سبعة آلاف فقير أدى عليهم الفدية . واقبل فى عقبه البطريرك الاكبر ومعه كنوز الكنائس من جواهر وذخائر واموال فلم يعرض صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض اصحابه ، وابى ان يأخذ الا الدنانير العشرة المقررة . ثم انقضى الاجل ولا يزال فى القدس آلاف من الفقراء لا يملكون الفداء فأصبحوا ارقاء قال المؤرخ الصليبى (ارنولد) : وكان فيمن شهدوا ذلك اليوم : « فتقدم العادل الى اخيه صلاح الدين وقال له : سيدى ، انى اهنئك والحمد لله على فتح هذه البلاد ، فهب لى الفا من ارقاء هذه المدينة . فلما اجابه الى ماطلب اعتقهم من فوره، وتقدم (يليان) والبطريرك الى السلطان بما تقدم به العادل فوهب كلا منهما الفا فاعتقاهم . والتفت صلاح الدين الى من حوله ، وقال : لقد ادى اخى صدقته وكذلك فعل يليان والبطريرك وبقى ان أؤدى ايضا صدقتى . ثم امر بأن ينادى فى المدينة ان العاجز عن اداء الفدية حر لوجه الله وله ان يخرج فاستغرق خروجهم بياض النهار لكثرتهم كما قال ارنولد ! فاين ما فعل صلاح الدين مما فعل جود فروا ؟ اليس الفرق بين الفعالين هو الفرق بين الكفر والايمان ، او بين الوحش والانسان ؟

عادت مفاتيح القدس الى الايدى المؤمنة الامينة ففتحتها على عهد عمر وعدل صلاح ، حتى دها الارض زلزال الحرب العالمية الاولى فانسرقت قوى (الرجل المريض) وانفرجت اصابع الخليفة الاخير عن هذه المفاتيح فسقطت فى يد بريطانيا . وسميت هذه السقطة انتدابا على فلسطين فى (عصبة الامم) ووقعت ايلياء مرة اخرى بين براثن الاستعمار الصليبى فباعها الانجليز حفدة قلب الاسد الى اسرائيل التى صنعت صليب المسيح وجعلوها سادنة لقبره وكاهنة لكنيسته ! وعادت القدس مهد الانبياء ومقبرة الرسل الى استعمار (طيطوس) القاهر واستثمار يهوذا الجشع ، فاخرج الصهيونيون العرب من ديارهم واموالهم وتركوهم فى العراء مع الجوع والخوف ، يكابدون برحاء الهموم على وطن يستبيحه الغرب ، وشعب يتخطفه الموت ، وحق يتحيفه الباطل، ومستقبل يكتنفه الظلام ، وحال من البؤس تقطع الرجاء وتوهى الجلد لولا ايمان المسلم وبسالة العربى واستماتة المظلوم وسيرى الحبر الاعظم ويعلم وهو يزور الاماكن المقدسة ان العرب وهم سدنة المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله قد جعلتهم اسرائيل بتأييد الامم النصرانية كما كانت اليهود شرداء فى كل طريق ، طرداء فى كل بلد.

لقد قال السيد المسيح ، كما يعلم قداسة البابا لذلك اليهودى الذى منعه ظل جدار ، وهو مجهود، وحرمه قرى داره وهو جائع : « **ستظل تائها فى الارض حتى اعود !** »

فهل عاد المسيح فى ثوب (بلفور) أم كذبت معاذ الله نبوءة (السيد) ؟

ان لعنة الله ودعوة المسيح لا تزالان تحرقان قدمى اسرائيل ، فلن تثبت له قدم فى ارض ، ولن تطمئن له نفس فى وطن ، وكان من اثر ضلاله البعيد فى الآفاق ان اكتسب خلائق العجز ، فهو يلص ليعيش، ويخدع ليغلب ، ويستوحش ليأمن ، ويتعصب ليدافع حتى تقطعت بينه وبين الناس وشائج النوع ، فاصبح خلقا آخر لا يألف ولا يؤلف فمحاولة اسكانه مع غير اهله وفى غير ارضه تكذيب لكلمة الله وتزوير لقانون الطبيعة .

ان فلسطين من البلاد العربية مكان القلب، ومن الامم الاسلامية موضع الاحساس ، وسيعلم الغافلون يوم يجتمع ملوك العرب ورؤساؤهم فى هذا الشهر استجابة لدعوة الرئيس عبد الناصر أن محنة فلسطين كانت سبيل المسلمين الى التعاطف ، وان صرختها كانت نداء العرب الى الوحدة ، وان اغاثتها ستتيح للاسلام تحرير القدس مرة ثالثة .

احمد حسن الزيات

أسئلة من بورسعيد

للدكتور محمد أحمد خلف

وتابى بورسعيد الا أن تكون المدينة الباسلة . **المدينة المكافحة المناضلة حتى فيما تعبر عنه من عواطف وانفعالات ، وما تعبر به من كلمات وشعارات، وما تستفسر عنه من قضايا ومشكلات .** ولقد رأينا ذلك كله بأبصارنا ، ووعيناه باسماعنا ، فى أسبوع الكتاب العربى بعامة ، وفى ندواته الثقافية بخاصة ولا سيما فى أسئلة السائلين للمسئولين .

تأبى بورسعيد الا أن تكون ذلك كله . فانت أين توجهت ، وانى توقفت واجد من ذلك ما يثير عجبك واعجابك . ففى الفناء الداخلى لمحطة سكك الحديد تجد لوحات من الفنون التشكيلية يزينون بها المحطة، وكلها يشير الى وسائل المواصلات . وكلها يشير الى ما تتعرض له هذه الوسائل من عقبات ، وما تصطرع فيه من شدائد ، وماتتعرض له من اضطراب وهى فى ذلك كله تكافح وتناضل لعلها أن تصل بالحمولة الى بر السلامة والأمان .

من هذه اللوحات لوحة جميلة وقفت عندها طويلا. لوحة تصور عربة نقل عليها حمولة ثقيلة ويجرها جوادان من الصافنات الجياد . جوادان يمسك بزمامهما فتى طويل القامة ، سليم البنية ، قوى العضلات ، تلمح فى وجهه معانى الجد والصرامة والعناد . تراه ماسكا بزمام الجياد الشداد الاقوياء وهى تكافح وتناضل فى سبيل أن تتخطى بالعربة هذه العقبات التى تعترض طريقها . وترى العربة والى جانبها من الحمالين ما يسند الحمولة ويحول بينها وبين أن تنفرط وتساقط على الارض من شدة اهتزاز العربة واضطراب الحمولة بسبب هذه العقبات التى تعترض الطريق . والحبال نفسها تكافح وتناضل فى سبيل الامساك بالحمولة والحيلولة بينها وبين أن تساقط على الارض .

ان كل ما فى اللوحة أو كل ما يقع عليه البصر من هذه اللوحة يؤذن بان الفنان قد استوحى فى فنه موقف المدينة من العدوان الثلاثى وانه قد كان معجزة بسبب عناد اهالى بورسعيد وما تحملوه من كيد ومكر وما قادوا به من كفاح ونضال فى سبيل استخلاص مدينتهم من العدو الغاشم حتى كتب لهم النصر وحتى عاد العدو يجر أذيال الخيبة ويلبس ثياب الذل والعار .

***

وأنت حين تمضى فى طريقك ميامنا أو مياسرا واجد حتما هذه الشعارات القوية التى تكشف عن ذخيرة نفسية لما يكنه البورسعيديون من العواطف القوية ومن الايمان العميق بمعانى البطولة ومعانى الكفاح والنضال ومعانى التضحيات مهما غلت فى سبيل الاهداف الكبيرة : أهداف الحرية والعدالة .

فمن شعاراتهم .

جنودنا ابطال فى كل مكان .

سلطة الشعب فوق سلطة الدولة - يقصدون الحكومة .

الديمقراطية والاشتراكية هما جناح الحرية .

الاشتراكية العلمية هى المنهج السليم للتقدم .

***

وأنت حين تستمع الى الاسئلة تجد هذه الالوان الدالة على التحدى والعناد ، والمواقف الجادة فى الاستفسار وملاحظة الظواهر .

من هذه الاسئلة هذا السؤال الذى تقدم به الشاعر حامد البلاسى الى الاستاذ يوسف السباعى :

« مكانكم البارز الخطير فى المجلس الأعلى للفنون والآداب يجعلنا نطمئن الى أن لادب يجد مكانه الرحب فى ركبنا الزاحف . فالقصة والرواية والمسرحية والدراسات والبحوث والموسيقى كلها قد استقر كيانها وهدأ خوفها فى ظل يد المجلس الرحيمة ..

الا الشعر فانه يضمحل رويدا رويدا ·· ونكاد نحس ان حربا غير رحيمة ولا عادلة تسلط عليه · وعلى الشعر الحديث بالذات ـ بغض النظر عن مؤتمر الشعر فهو لم يحقق مجدا خالدا للشعر ·

ثم لماذا يحارب الشعر الحديث بالذات محاربة غير مشروعة في المجلس وتحت شرعية كيانه ؟

ولماذا يحارب المجلس اصدقاء الشعر الحديث ويشخن كاتبيه والمؤمنين به ؟

وفي النهاية ـ ما هو موقفكم الصريح ازاء الشعر الحديث ، وما رايكم فيه ·· بصراحة ؟ » ·

وهذا السؤال الذي تقدم به الاستاذ محمد اسماعيل هاني للاستاذ يوسف السباعي أيضا :

« في راينا ان المشكلة لم تعد مشكلة المؤلف او الكتاب او النشر ·· ولكن المشكلة هي مشكلة القارىء ·· ومن هنا يتوجب ان نخلق في بلادنا العربية قارئين على مستوى المؤلفين والكتب ·· فكيف يتم ذلك ؟ »

***

ومن هذه الاسئلة هذا السؤال الذي تقدم به الاستاذ السيد العربي محمد الى الدكتور عبد الحميد يونس باعتباره استاذ الأدب الشعبي بكلية الآداب جامعة القاهرة :

« هل يخضع الادب الشعبي لنظام معين ، ومنهج محدد ، يلتزمهما الاديب كما كان الشأن في الادب القديم الذي خضع لعمود الشعر ونهج القصيدة ـ مثلا ؟ » ·

وهذا السؤال الذي جاء بدون توقيع :

« ما المقصود بالمراهقة الفكرية ؟ »

ثم هذا السؤال الذي جاء بدون توقيع ايضا :

« هل يستطيع الادب الشعبي ان يكون اداة صالحة لتعبئة الجماهير الشعبية بالشعور القومي والفكر الاشتراكي ؟ » .

***

ومن هذه الاسئلة تلك التي تقدم بها كثيرون للاستاذ الدكتور محمد طه بدوي باعتباره استاذ العلوم السياسية بجامعة الاسكندرية ·

١ ـ في امريكا بلغت الراسمالية أعلى مراحلها · وفي الاتحاد السوفييتي نشاهد الاشتراكية المتطرفة · والدولتان بلغتا من القوة والعظمة في جميع الميادين مبلغا عظيما ·

فما رايكم في هذه الظواهر في ضوء الحتمية التاريخية التي ابتدعهما ماركس ؟ ·

٢ ـ لماذا تعتبر الدول الراسمالية اكثر تقدما ومدنية عن الدول الاشتراكية في دول المجتمع الغربي ؟

٣ ـ هل من الضروري أن يسبق التفكير الاشتراكي التطبيق الاشتراكي ؟

وما مدى وضوح هذا القول في اشتراكيتنا العربية ؟ ·

٤ ـ السياسة الخارجية عبارة عن تعبير عن الموقف الاقتصادي الداخلي للدولة ·

ما معنى هذه العبارة في حياتنا العربية المعاصرة ؟

٥ ـ نقرأ كثيرا عن الاشتراكية العربية ـ فهل هناك خلاف بينها وبين الاشتراكية العلمية ؟ وما مداه ؟

٦ ـ ماهو الحل الوحيد في رايك لمشكلة فلسطين ؟

٧ ـ ما مفهوم النازية ؟ وهل هي تطرف في القومية الالمانية ؟ وما الضمان لعدم تطرف اية قومية الى مثل النازية ؟

٨ ـ ارجو التفضل بتحليل تكوين الطبقات في المجتمع اليهودي في فلسطين ، ومدى اثر ذلك في القضية الفلسطينية ؟ ·

٩ ـ هل ترون ان اضطهاد النازية لليهود ـ وخاصة ابان الحرب العالمية الثانية وفي عهد هتلر ـ للتخلص منهم كان امرا حتميا ؟

وما السبب في اتجاه النازية الى هذه الوسيلة ؟

وهل تتفق سياسة اليهود او تتشابه في ذلك العهد مع سياستها الحالية ـ وخاصة بعد ان قامت دولة اسرائيل المزعومة ؟ .

١٠ ـ هل لكم ان تتفضلوا مشكورين بتوضيح معاني المصطلحات التالية والفروق فيما بينها بقدر الامكان :

(ا) الديمقراطية والثيوقراطية .

(ب) البلشفية والفاشستية .

(ج) الاوليجاركية والارستقراطية .

(ء) المذهب الاشتراكى والمذهب الاجتماعى .

***

هذه عينات من الاسئلة التى تقدم بها الشباب فى بورسعيد ، وهى فى جملتها صالحة لان يشغل بها الشباب العربى ، ودالة على نوع المعارف والمعلومات التى يبحث عنها الشباب العربى .

ان الاجابة عن هذه الاسئلة هى الثقافة الحية . الثقافة التى يجب ان يعمر بها كل قلب وكل عقل عربى .

ونحن حين نطرح هذه الاسئلة انما نقصد الى ان نوحى بالتفكير فيها ، والاجابة عنها . ونشكر اولئك الذين يتفضلون بالكتابة فيها من قراء هذه المجلة .

انا لا نريد ان نحتكر الاجابة بقدر ما نريد تنشيط الذهن العربى ، وايقاظ الوعى العربى بمسائل هى بنت الساعة . وانا حين نفتح هذا الباب انما نريد ان نفيد ونستفيد . نفيد اولئك الذين يقرءون ونستفيد من اولئك الذين يكتبون .

اما حين يتوقف الكتاب عن الكتابة فانا مجيبون عن هذه الاسئلة بالقدر الذى تسمح به ثقافتنا وظروفنا فى اعداد تالية ان شاء الله .

دكتور محمد احمد خلف الله

المادية الإسلامية وأبعادها

للأستاذ عبد المنعم خلاف

جناية التهويم الاجنبي على صحو العقل العربي — وضوح رؤية الكون في ضوء القرآن — توجيه العقل الى منطق القرآن وحده — راى القرآن في المادة والروح — المادة اكثر اثارة للعجب من الروح — العالم المادي هو مجلى ظهور الله وصفاته — العقل بين عالم الخلق وعالم الامر .

***

انتهينا من الحديث عن (البعد الأول) للمادية الاسلامية ، وهو التصور العقلي الاسلامي للبناء المادي للكون وصلته بالخالق المنشيء ، ودلالته على وجوده وارادته وعلمه وحكمته وقدرته ورحمته وكمالاته التي لا تتناهى ، وعلى وحدة المعايير والمقاييس للحق والباطل والخير والشر ، ووحدة الاتجاه وثبات السنن في الكون كله ، وعلى الصلة بين العقل الاكبر الذي يحكم الكون ويدبره وعقل الانسان ، وعلى الارتباط والتطابق بين كلمات الكون وكلمات القرآن ، واثر ذلك في ادراك الوحدة بين منطق الخالق ومنطق المخلوق ..

والآن ننتقل الى الحديث عن (البعد الثاني) من ابعاد المادية الاسلامية ، وهو ادراك تكوين الكائن الانساني وتركيبه في ضوء هذه النظرية الاسلامية .

ويطالعنا حديث القرآن عن نشاة الانسان وتكوينه بالعجب العجاب ! الذي يجعل العقل العلمي العصري يقف مبهوتا مقرا بسبق هذا الكتاب وتبكيره الى ما وصل اليه العلم اخيرا بجهده واسلوبه وادواته .

وهذا الحديث عن تكوين الانسان وتركيبه يقتحم نطاق الوهم العجيب الذي ظل يسيطر على عقول المسلمين طوال القرون الماضية ، منذ أن تغيرت البداهة العربية التي تلقت القرآن بفطرتها السليمة ، وادركت مفاهيمه بعيدا عن المفاهيم الاجنبية التي وردت اليها فيما بعد من الاسرائيليات والصوفيات الهندية والخيالات والتهويمات البعيدة عن الصحو العقلي الذي يمتاز به الطبع العربي .

وانا اقدر أن هذا الحديث سيثير جدلا ولغطا ونكيرا من الذين — سيفاجئهم تهمنالحديث القرآن عن النشاة الانسانية .. اولئك الذين يعيشون على جدليات وفروض ما نزل بها القرآن ولا رضي عنها العلم بمعناه العصري المحدد المؤسس على المشاهدة وادراك القوانين المادية .

وما كان اولى هؤلاء ان ياخذوا القرآن وحده ويعقلوه ويتبعوا ما انزل اليهم من ربهم لا ما تنزلت به اوهام الامم وشطحات الشعوب .. اذن لكان المسلمون قد وفروا من عمرهم بل من عمر الناس جميعا الذي ضاع في تلك الشطحات والجدليات الفرضية والاوهام ، ولكانوا قد سلكوا الطريق العلمية الصحيحة قبل غيرهم من الامم بمئات السنين ، ولكان في ايديهم الآن قياد الحضارة الثقافية المؤمنة غير الملحدة ولا المنكرة للصلة الواضحة بين الطبيعة وخالقها وما وراءها من عالم الامر والسر ...

واني ، احاول كما قلت ، ان اقتحم بهذا الحديث معقل المادية الالحادية الشرقية والغربية ... اقتحمه بالمادية الربانية القرآنية العلمية البصيرة التي ترى الكون المادي رؤية واضحة ، وتحتفل به وتدرك اعماقه وتتذوق اسراره ، وترى ما فيه من الادلة والآيات البينة المتحدثة بما فيه من كلمات تستمد وحيها وتتلقى علمها من عبابه الزاخر ، وهي ترى يد الله البارىء المصور ، وقد وقفت وراء كل شيء وكل شأن فيه ، قائمة عليه هادية له .. لا كتلك المادية العمياء التي تقف عند حدود المادية الصماء وقواها وطاقاتها ولا ترى تلك اليد التي كونتها وبثت فيها القيم التي تقوم وتوزن بها .

واحاول كذلك التنبيه الى وجوب تحرير العقل الاسلامي من النظرات القاصرة عن مدى ما في القرآن من تقرير وتقدير للبناء المادي للكون ، وما فيه من اسرار وعجائب .. تلك النظرات التي ظلت مسيطرة على عقول المسلمين المتاخرين وخدعتهم وجرجرتهم الى آفاق السراب ، واخذتهم بعيدا عن الفكر العلمي والعمل المادي لبناء الحضارة والثقافة ، وعن بناء تفكيرهم وفلسفتهم على القيم التي بنى الله الطبيعة عليها ، بجانب القيم الغيبية التي بنى عليها ماوراء الطبيعة ، على نحو ما يوحي به القرآن في مثل قوله « وعنده مفتاح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » .

فهكذا كان يجب ان يكون تكيف العقل الاسلامى على نمط ما يشير اليه القرآن ويستعرضه فى مثل هذه الآية ، من علم الله واحتفاله بمفاتح الغيب ، مما يسمو فوق عالم الطبيعة والشهادة ، ومن علمه واحتفاله بكل ما وسعته مادة الارض من اشياء واحوال واسرار واعراض واطوار ، صغرت او كبرت ، اقبلت بها الحياة او ادبرت .. وكل اولئك قد سجل وصنف ورتب فى وضوح وابانة تنبىء عن عناية الخالق به ..

فكيف يحيط علم الله هكذا ويحتفل بكل صغيرة وكبيرة في مادة الطبيعة و « لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » .. وكيفيتابع بعلمه وتدبيره كل شيء فيها ، ولو كان ورقة ساقطة ، او حبة نامية تدب بالحياة فى ظلمات الارض ، او شيئا رطبا لينا تقبل به الحياة ، او شيئا تدبر عنه وتتركه يابسا جامدا ... ثم بعد هذه الاحاطة الالهية بكل شيء فى المادة يترك العقل البشرى كل هذا ويدبر عنه ولا يسعى للاحاطة والاحتفال به وتلقى ما فيه من اسرار وتتبع ماله من احوال ..

اجل ، على هذا النمط من الايحاء القرآنى كان يجب ان ينشأ ويربى العقل الاسلامى ، وان يتلقى عن الخالق ذى العلم والطول وحى سننه فى الكون واسلوبه العلمى واحتفاله بالمادة وعنايته بتخليقها وتنويعها ومتابعة اطوارها ..

ولكن مع الاسف ، كما سبق القول ، لا يزال اكثر المسلمين المعاصرين يصدرون فى تفكيرهم عن افكار ليست من وحى القرآن ، وليست من طبيعة ايحاء هذا البناء المادى للكون ، ولذلك لم ينطلقوا برغم طول العهد على بدء اتصالهم بالعلم العصرى من تلك الاوهام التى قيدت انظارهم وحبستها على مقاطع نظر خادعة ..

والآن ننتقل القول الى الحديث عن تكوين الكائن الانسانى :

يقول العلم والفلسفة والدين ان الانسان مكون من مادة وروح . فما هى المادة وما هى الروح اولا ؟

ان المادة هى تلك العناصر الثلاثة والتسعون او الاربعة والتسعون التى تكون فى حالة جمادية او سائلة او غازية ، وتتكون منها الاجسام منفردة او مجتمعة بنسب متفاوتة .

ولم يكن القدماء يدركون المادة ومنشأها كما يدركها المحدثون الآن ، اذ لم تكن عناصرها قد ميزت وحددت بخصائصها هذا التحديد العلمى الدقيق ، ولم تكن القوى والطاقات الجبارة التى تنبثق منها او تتعلق بها كالكهرباء والمغناطيسية والجاذبية والطاقة النووية ، قد كشفت وحددت وميزت ودرست الدراسة المستوعبة .

ولم تكن الحدود بين العلم والدين والفلسفة قد وضحت كذلك ، بل كانت خليطا ، فكانت الفلسفة تدخل مداخل العلم ومداخل الدين ، وكان طالبو المعرفة يجمعون ما يعثرون عليه سواء كان علما ام حكما عقليا ام تاملا فلسفيا ام مذهبا اخلاقيا ام عقيدة دينية ام امرا علميا .

ومما ورثناه عن الاقدمين مختلطا لذلك كلمتا « روح ونفس » ، وقد تناولتهما بالبحث الفلسفة والدين والعلم .

وينبغى ان ندرك فى مبدأ القول ان الروح الانسانى سواء كان جوهرا مستقلا بذاته قبل اتصاله بالجسم ام كان عرضا من اعراض الجسم والتركيب المادى الانسانى ، هو امر عجيب حقا على كلا الحالين ، وليس ينبغى ان يذهب بالعجب منه انه ناشىء من الجسم الانسانى كنتيجة لتركيبه المادى وتطوره وكونه فىقمة الحياة العليا ، بل علىالعكس ارى ان انبثاقه من التركيب المادى للجسم الانسانى هو اشد اثارة للعجب من كونه جوهرا مستقلا متنزلا من العالم العلوى الذى نؤمن بأن له قدرات لاحدود لها ، فلا يستغرب اى شيء يصدر عنه مباشرة ..

كما ينبغى كذلك ان ندرك ان القرآن يقرر ان الآيات والاعاجيب التى فى خلق البناء المادى للكون، اكثر اثارة للفكر ولدواعى ايمانه ، من اعجوبة روح الانسان الذى حارت فى ادراكه الافهام ، على نحو ما يقول ابو العلاء :

والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد !

فتلك الآيات والاعاجيب المادية التى فى مادة الكون هى من الكثرة بحيث يعد جاهلا بحق وبليدا بحق من لا يرى فيها اسبابا مقنعة ودواعى للايمان واليقين بما وراءها من عقل وتدبير وحكمة وعلم وبصر وقدرة واحاطة ...

ولنقرأ هذه الآيةمن سورة غافر «لخلق السموات والأرض اكبرُ من خلق الناسِ ، ولكن اكثر الناس

لا يعلمون » لتدرك على الفور ، ان امر العجب فى الروح الانسانى هين بالنسبة للآيات والاعاجيب التى يكاد التفكير فيها يصعق العقل مما تحمله السموات والارض وما بينهما !!

ونشوء المادة ذاتها لايقل العجب منه عن العجب من نشوء الروح ، لذلك قال (ملكن) احد كبار علماء الكهرباء فى عصرنا هذا ، حينما سئل عن الروح : خبرونى ما هى المادة اخبركم ما هى الروح ...

والواقع البين ان ما فى التركيب المادى للعالم من مدارات الأفلاك والنجوم والكواكب والاقمار والنيازك والمشاهد والقوانين والقوى والطاقات والأحجام والانتقال والحياة والموت والجواهر والاعراض والتركيب والافراد والجمود والميوعة ، سيولة وغازية ، والاضواء والظلال والاشعاعات والظلمات ، والغيوم والاصوات والحركات والسكنات والهياج والقرار .. كل اولئك وغيره ، مما لا يمكن تعداده واستيعابه ، كان يجب ان يقنع العقل بدلالاته على ان ما وراءه من امور مجهولة لا يجوز ان يحول دون التسليم بان ذلك المجهول الذى لم يدركه العقل والعلم هو امر واحد عجيب من امور عجيبة كثيرة لا عدد لها قد ادركها العقل ، وانه لايجوز اتخاذه سببا للشك او التوقف والتردد او الانكار والانغلاق وعدم التفتح للايمان المطلق بالله الخالق وما عنده من اقتدار ..

والعالم المادى هو مجلى ظهور الله وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته للعقل البشرى ، لانه مجال عمليات الخلق والتقدير والتكوين والتشكيل التى تبدو فى (عالم الخلق) للادراك الحسى لدى الانسان ، وعمليات الخلق والتكوين هذه تصدر عن (عالم الامر) ويشير الى هذين العالمين قول القرآن « الا له الخلق والامر » ويشير الى عالم الخلق وحده قوله « وخلق كل شئ فقدره تقديرا » وقوله « اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ويشير الى عالم الامر وحده قوله « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » وقوله « انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » .

وفى الحديث التالى بيان مقالة القرآن فى تكوين الانسان وتركيبه .

عبد المنعم خلاف

الخصائص الفنية للأدب الصوفى

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

مقام النبوة فى برزخ   دوين الولى وفوق الرسول

هذا البيت لمحيى الدين بن عربى .. الصوفى الكبير المعروف .. وقد سار هذا البيت مسير العاصفة الهوجاء ، تنطلق فى سعار مجنون ، وقد اشتملت على ابن عربى ولفته فى اطوائها ، تضرب به وجوه الأرض ، وتخط بدمه المراق المبدد بين مشارق الارض ومغاربها : الكافر .. الملحد .. الزنديق !

وماذا يكون لابن عربى من مصير غير هذا المصير ، ومن جزاء غير هذا الجزاء ، وقد جاء بهذا البهتان العظيم ، وهذا الضلال البعيد ؟

ان ذلك اقل ما ينبغى ان يساق اليه من عقاب ، لقاء هذا التجديف الذى يتطاول به على مقام الدين ، ويتقحم به على حماه ، وينتهك حرمته ، ويستخف بمقدساته .

واى تطاول على الدين ، واى استخفاف به ، وانتهاك له من قلب أوضاعه ، وتشويه وجوهه ، وطمس معالمه ؟ فابن عربى فى هذا البيت — ودع ماله من كثير مثله — يجعل « الولى » — ولعله يعنى نفسه ، ومن كان على شاكلته ، وعلى طريقته — يجعل الولى فى منزلة فوق منزلة الرسول !

اليس هذا صريح قوله ، ومنطوق كلامه ومفهومه؟

مقام النبوة فى برزخ   دوين الولى ، وفوق الرسول

فالنبى فى مقام بين مقامين ، فى « برزخ » .. فوقه مقام ، وتحته مقام .. فهو :

دوين الولى ، وفوق الرسول

انه — اى النبى — دون الولى ، وفوق الرسول!

او بعبارة اخرى ..يكون ترتيب المقامات الثلاثة .. هكذا ، مرتبة ترتيبا تنازليا :

الولى ، فالنبى ، فالرسول ..

فالولى يحتل المنزلة العليا ، ويتربع على المقام الاول من مقامات القرب من الله ..

ثم يجيء بعده النبى حيث يأخذ مكانا وسطا .. هو « البرزخ » ! ثم يجيء بعده الرسول فيأخذ ادنى المراتب فى هذه المقامات وانزلها .

ومرة اخرى .. اكثير على ابن عربى بعد هذا القول ان يتهم بالكفر ، او يرمى بالحاد ، أو يوصم بالزندقة ؟

وشهد شاهد من اهلها !

فما جاء احد بهذا القول يفتريه على الرجل ، او يدسه عليه بين اشعاره .. فان هذا « البيت » مشهور مثبت فى قصيدة من قصائده المروية عنه ، والتى يتناقلها تلاميذه ، ويحفظونها فيما يحفظون من شعره ونثره !

ثم انه لم يحاول ابن عربى ان ينكر هذا «البيت» وهو حى ، ولو كان قد فعل لتولى تلاميذه ومريدوه هذا الامر من بعده ، ولاسقطوه من مؤلفاته ، التى يحرصون على اذاعتها مخطوطة ومطبوعة !

نعم .. لم يكن هناك من افترى هذا القول على ابن عربى ، او دسه فى شعره ، او خرج بالفاظه وعباراته عن مدلولها اللغوى . او حرف كلمها عن مواضعه .

فالكلمات واضحة فى مدلولها ، صريحة فى مفهومها ، لاتحتاج الى ترداد نظر او طول تفكير حتى تصرح بمكنونها ، وتدلى بما تحمل من معنى !

فما لصقت التهمة بابن عربى الامر من هذه الامور ..

وكيف ؟ وهو قائل هذا القول ؛ بشهادته ، وشهادة تلاميذه ومريديه ؟

وكيف ؟ والكلام صريح فى معناه ، واضح فى مفهومه ؟

ومع هذا ، فاننا نقول بأن الرجل برىء من تلك التهمة براءة مطلقة ، لاتشوبها شائبة من ارتياب او شك !

ولكن هكذا ادين الرجل ، واخذ بما لم يجن .. وكم فى السجن من مظلوم ومظلوم !

ونعم .. ان ذلك كذلك ..

فلقد ادين الرجل عن سوء فهم لهذا البيت « المشئوم » ، ولا نقول عن سوء نية ، ولا تبييت كيد ، وتدبير سوء . !

فاننا ان كنا لا نبرىء كثيرا من الذين وقعوا فى ابن عربى من اجل هذا البيت — ان كنا لا نبرىء كثيرا من هؤلاء من سوء النية ، ومن تبييت الكيد ، وتدبير السوء له — فاننا نجل اماما عالما جليلا كابن تيمية ان يتعمد المغالطة فى فهم هذا البيت ، ويحتمى فى التغافل او الغفلة عن الوجه الصحيح لفهمه — كي يفتل من ذلك حبلا غليظا يجر به ابن عربى من رقبته ، ويقوده منه الى حيث الكفر والالحاد ، والزندقة .. ثم الى حيث اللعنة وسوء الدار ..!

نحن نجل هذا العالم الجليل ان يركب هذا المركب — مهما تداعت عليه من ملابسات الظروف والاحوال — وان يدين ابن عربى بغير حجة قائمة بين يديه ، وان يشهد عليه هذه الشهادة القاتلة بغير علم ومن غير ان يكون قد استقام لفهمه من هذا البيت هذا المفهوم الذى اشرنا اليه من قبل ، والذى يجعل « الولى » فوق النبى ، ويجعل النبى فوق الرسول .. !

ولقد فهم ابن تيمية هذا « البيت » على ذلك الوجه الذى فهمه اكثر الناس عليه ، بل ربما كان ذلك هو الفهم الذى يفهمه اكثر المتصوفة له !

وننظر فى هذا « البيت » مع ما معه من ابيات ، تقدمته ، او تأخرت عنه ..

يقول ابن عربى متحدثا عن الرسالة والرسول:

انا ترجمان اله السماء
وذلك ان قال لى ما اقول
مقام الرسالة عند السراء
ويظهر ذلك عند الرسول
ينادى به من مقاماته الـ
الهية الواضحات الفصول
لتمشى بها لعباد طغوا
وحادوا بها عن سواء السبيل
وبلغ اليهم رسالاتنا
فانت الرءوف بهم والدليل
سماء الولاية علوية
تحيط بكل مقام جليل
سماء النبوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول
فيا مؤمنا ان تكن عالما
تنعمت فى علم قال وقيل
وبالضد ان كنت فى ضده
ولو كنت فى خفض عيش ذليل

وهذه القصيدة مثبتة فى كتاب ابن عربى : « لطائف الاسرار » ، وقد حققه وقدم له : الاستاذان: احمد زكى عطيه ، وطه عبد الباقى سرور : « ص ٤٩٠ » !

ولم يدع ابن عربى هذا الشعر لغيره أن يشرحه، ويكشف عن مضمونه ، بل قد تولى هو شرحه فى صلب الكتاب ، بعد القصيدة مباشرة ..

يقول ابن عربى فى شرح هذه الابيات على طريقته، واسلوبه :

« نزل الروح الامين على القلب ، فقال : الرسالة عرش الرب المربوب ، ومقام الرسول بينهما ! لانه طالب مطلوب .. فلو لم يناد الرسول من مقامه الالهى ما اجاب ، ولو سقى من غير مشربه ماطاب ..

فان قيل له فى ذلك الخطاب : بلغ ما انزل اليك من ربك ، فذلك الرسول .

وان زيد عليه : وقاتلهم ان ابوا القبول ، فذلك الخليفة الرسول .. فله ان يصول .

ثم يقول :

«الرسول وجه الى قومه ، والنبى تعبد فى نفسه الى يومه ، والولى ايقظه الرسول من نومه !

« فالرسول هو الامام .. والولى هو المأموم .. والنبى امام مأموم .. محفوظ غير معصوم .

« والرسول من هذا النمط هو المطلوب ، ومنه ، واليه يكون الهرب المرغوب .

« فالمؤمن به صدقه وانصرف ، والعالم قام له البرهان فاقر بصدقه واعترف ، والجاهل نظر فيه وانحرف ، والشاك تحير فيه فتوقف ، والظان تخيل وما عرف ، والناظر تطلع وتشوف ، والمقلد مع كل صنف تصرف ... »

ونقرا هذا الشرح ــ متصلا بالشعر ، او مقطوعا عنه ــ فنجد ان ابن عربى يجعل للرسول المقام الاول عند الله ، وانه امام يأتم به النبى والولى ..

وان الولى ، انما هو تابع للرسول ، يهتد بهديه ، سائر على طريقته : « والولى ايقظه الرسول من نومه » فالرسول هو الامام ، والولى هو المأموم والنبى امام مأموم !

هذا ما يقرره ابن عربى ..

ولو اخذنا بهذا القول لكان ترتيب المقامات هكذا .. ترتيبا تصاعديا ..

الرسول أولا .. فهو الامام

ثم النبى ثانيا .. فهو امام .. ومأموم .

ثم الولى ثالثا .. فهو مأموم وحسب .

ومن هذا ترى ان المقام الذى تحتله النبوة هو مقام بين مقامين ، او هو برزخ بين بحرين : الرسالة والولاية ..

وهذا ما اشار اليه ابن عربى فى بيته المذكور مقام النبوة فى برزخ » .

فهو فى صدد الحديث عن النبوة وتحديد مكانها ومقامها فى منازل الرحمة والقرب من الله .. يقول :

مقام النبـــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

فالنبوة فى مقام وسط ، فى برزخ
هذا ما ينطق به البيت فى صراحة صريحة ..

واذن فلا خلاف بين فهم وفهم فى هذا الشطر من البيت ..

وبقى الشطر الثانى .. وهو «جسم» الجريمة ، وشاهدا الاثبات على كفر ابن عربى ، والحاده ، وزندقته !

والرجل كما رايت ينطق بغير هذا فيما نطق به ، شرحا لهذا البيت ، وتحديدا لمفهومه ! ولم يترك المعنى فى بطن الشاعر ــ كما يقولون ــ ليتاوله المتاولون ، ويحرفه المحرفون !

فما تاويل هذا ؟

وكيف يقول الرجل شعرا يحمله معنى معينا ، ثم يتولى شرح هذا الشعر محملا هذا الشرح معنى غير المعنى الذى عناه فى شعره ؟

ايكون ذلك امعانا منه فى الكيد والدس ؟ او ايكون ذلك مكرا من مكره ، ليدفع عن نفسه بهذا الشرح تهمة الكفر ، ولينجو بجلده من السجن ، او القتل . ؟ حتى اذا افلت بهذا التدبير من العقاب ترك الشعر يسير فى الآفاق ، ويجرى على الألسنة طليقا محررا من هذا الشرح الذى لا يعلق بخاطر ، ولا يجاوز حدود الصفحة التى سود بياضها ؟!

ربما ذهب سوء الظن ببعض الناس فى ابن عربى الى هذا الحد ، والى ابعد من هذا الحد !

وندع هذا ..
ونرجع الى عجز البيت ..

واريدك ان تضـع ضمة فوق النون من كلمـة « دوين » .. ثم ضمة أخرى فوق القاف من كلمة « فوق » .. ثم اقرأ عجز البيت ، او البيت كله ان شئت .. هكذا :

مقام النبـــوة في برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

ولا تنكر هذا ، ولا تقل : ان « دوين » « وفوق » ظرفان ، وحقهما النصب ابدا .. وانا لا اخالفك فى هذا ..

ولكن هيا بنا نرجع الى قواعد النحو واحكامه .. فى ظروف الزمان والمكان !

وهى قواعد واحكام لم يضعها ابن عربى ، ولم يشارك فى وضعها ، بل انه اخذ نفسه وادبه بها ، واخضع قلمه ولسانه لأحكامها .

والقواعد النحوية تقرر فى صراحة صريحة انه يجوز قطع ظروف الزمان والمكان عن الاضـافة ، فتعرب حينئذ ، أو تبنى على الضم .

وعلى هذا جاءت القراءة فى قوله تعالى : « لله الامر من قبل ومن بعد » بضم اللام فى « قبل » ، وضم الدال فى « بعد » .. وهى القراءة المشهورة وعليها اجماع السبعة القراء . كما قرئت هذه الآية « لله الأمر من قبل ومن بعد » بالجر مع التنوين فى الظرفين . . وذلك على نية قطع الظرفين عن الاضافة المقدرة : اى ولله الامر من قبل الغلب ومن بعده .

وعلى هذا ايضا جاء قول الشاعر :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
اكاد اغص بالمـــاء الفـرات

فلماذا لايستقيم لنا هـذا الفهم فى ظروف الزمان والمكان ـــ وهو مستقيم على اتم ما تحدث به قواعد النحو كان معنى بيت ابن عربى مطابقا تمام المطابقة فى معناه للشرح الذى شرحه به صـاحبه ، على ما نقلناه من قبل :

واقرأ البيت مرة اخـرى على هـذا الضبط النحوى له :

مقام النبـــوة فى برزخ
دوين الولى وفوق الرسول

ولا تنس ان الظرفين « دوين » « وفوق » مبنيان على الضم ، وان كلا منهما واقع خبرا للاسم الذى بعده : « الولى » و « الرسول » .. والتقدير : النبى دونه الولى ، وفوقه الرسول .

فهذا ما ينبغى ان يفهم عليه البيت ، وما يجب ان توزن به الفاظه ومعانيه . وهذا الفهم للبيت ، وهذا الوزن لألفاظه ومعانيه مسـتقيم كل الاستقامة مع أفصح اساليب اللغة .. لايحتـاج الامر معه الى تاويل متكلف ، أو تخريج متعسف !

وبعيد كل البعد ان يغيب عن ادبائنا ،بل وفقهائنا هذا الفهم للبيت على هذا الوجه ، لو انهم نظروا اليه نظرا بعيدا عن الهوى ، والبحث عن السقطات والعثرات ، والتماس السبيل اليها بأى ثمن ، ولو كان على حساب الحق والعدل .

والذين نظروا فى هذا البيت ، انما نظروا الى ابن عربى فيه ، قبل أن تتجاوز ابصـارهم الكلمات الأولى منه ..

ثم انهم حين وقعت ابصــارهم على الكلمات : النبوة ، والولى ، والرســول ، ودوين ، وفوق ـــ وقع لخواطرهم أن ابن عربى لابد أن ينحرف هنا وان ينزلق الى مهاوى الكفر والضـلال ، فأمسكوا بهذه الالفاظ يشدونها شدا الى هـذا المعنى الذى تصوروه .

وبهذا التصور ، وبهذا الفهم عاش الأدب الصوفى بين الناس على مدى الأجيال .. يلقونه حذرين ، ويلمون به متوجسين ، وينظرون اليه نظر متشكك مرتاب .

وغير هذا كان اولى بهذا الادب .. فاننا بهذا المنهج المضطرب المنحرف الذى درسـنا به الأدب الصوفى ، وخرجناه عليه ـــ قد ظلمنا هذا الادب ، كما ظلمنا الأدب كله ، اذ قطعنا الصـلة بينه وبين مورد من اغزر موارده ، واصفاها .

ونعود فنقرر مرة بعد مرة اننا لا ندافع هنا عن قضية الصوفية او التصوف ، وانما ندافع عن قضية الادب الصوفى . فى جميع صـوره ، والوانه .. وذلك لنتهيأ له دراسـة ادبية خالصة ، بعيدة عن المؤثرات المذهبية ، او الطائفية ، او السـياسية ، التى اساءت اليه ، والى الادب كله .

عبد الكريم الخطيب

الانسان بين التقدم والسقوط

للأستاذ محيي الدين اسماعيل

فى الثامن عشر من شهر يوليو ١٧٩٣ أعلن فرانسوا شابو الكاهن الفرنسسكاني السابق بيانه الرجعي الشهير الذى ندد فيه بتعاليم المركيز دى كوندورسيه . ولقد اتهم الكاهن السابق تعاليم كوندورسيه بأنها تعاليم تدعو للتآمر على سلامة الأمة الفرنسية ، وتدعو الى تمزيقها والقضاء على وحدة الكيان الفرنسى .

ولقد كان هذا البيان تعبيرا عن الردة الفكرية التى عانتها فرنسا يومذاك ، اذ لم يكن الكاهن السابق شابو سوى القوة الغاشمة التى كانت تطارد الفكر الحر ، فى صورة البطل الشقى .

كان الفكر الحر ، فى ذلك الحين ، وبعد تجارب دامية قاسية ، قد بدأ يرى فى الحياة « الصيرورة » و « التغير » و « التطور » . وكان شابو وما يمثله من فكر يرى فى هذه القيم والمفاهيم نسخا « للمطلقية » بل ازالة للوجود بأسره .

الاستحالة فناء .. التحول تمزق وتمزيق .. الصيرورة والتطور والتغير ، مفاهيم تفرزها ذهنيات مخربة هدامة ! ــ هكذا كان يصرخ الكاهن السابق شابو ــ !

وكان على كوندورسيه أن يهتف من أعماقه بصيحة الفرح ، بقدر ما كان قد استولى عليه من الذعر ، فقد هرب الى دار مدام فرنيه ، وهناك فى خلوته ، كتب كتابه الخطير البعيد الاثر « **موجز اللوحة التاريخية لتقدم الفكر الانسانى** » .

ان هذا الكتاب ، على ما فيه من غلو واسراف فى النظرة الاجتماعية التى تعجز عن النفاذ الى آفاق الانسان الرحبة ، لتشرف على أبعاد روحه ، الا انه على أية حال ، يعد انتصارا ضخما لفكرة التقدم الانسانى ، وتحديد آفاق التطور البشرى .

ولقد استقبل شباب العصر يومذاك هذا الكتاب ، بحماس شديد ، واعتبروه الراية التى تؤكد الانتصار الساحق الذى حققه كوندورسيه على شابو . لقد هز هذا الكتاب أعماق شباب العصر ، وأشعرهم بحرارة جديدة تسرى فى عروقهم . الانسان لم يعد ذلك البطل الشقى الذى ينهزم دوما ، وان كانت هزيمته مجيدة تستحق اكليل الغار . لقد بدا الانسان فارسا يمطى صهوة الزمن ، وهو يتقد ، دون ما ونا ، الى أعماق المستقبل فى تقدم راسخ ، كما يتقد النجم فى الأبعاد ضمن مجرى فلكه الأبدى .

فكرة التقدم هذه التى رفع مشعلها كوندورسيه ، كانت قد تناومت قبل قرنين من مولد كوندورسيه ، حتى اذا ما جاء هذا المفكر استطاع أن يمسك بيديه المحرات ليشق لها الطريق ، وبذلك أتاح للذهن الانسانى أن يفترض ــ افتراضا على الأقل ــ مولد صور شتى لا حصر لها من الحياة .

وهكذا شق كوندورسيه بمحراثه الجبار الطريق التاريخى لفكرة التقدم . أما صرخات الكاهن شابو فقد ذهبت بددا تحت قبة الجمعية العمومية الفرنسية وفى شوارع باريس .

على أن هذه الفكرة ، ما لبثت أن تطورت ، فأدخلت عليها مضامين جديدة لم تعرفها تعاليم كوندورسيه ومعاصريه أو الذين سبقوه ووطأوا لدعوته وتعاليمه

بيد أن فكرة التقدم هذه التى أخذت تتعين على شكل قانون موضوعى تخضع له الحياة ، بدأت خلال عملية « التعين » هذه تواجه أسئلة واعتراضات عدة . كانت هذه الاسئلة والاعتراضات ترمى الى احراج فكرة التقدم واسقاطها من المستوى الانسانى الى المستوى الآلى المحض .

أنى لك أيها الانسان أن تعلم بأن الغد دوما أفضل من اليوم ؟

ألست ترى بعينيك كل هذه الكوارث والفواجع والنكسات التى تزحم مدرجة التاريخ ؟

أليس أفضل ما فيك ــ أحيانا ــ هو ما ورثته عن أسلافك أى من الأمس الدابر ؟

لا مراء ، أن هناك ضربا من التقدم ، بيد أن هذا التقدم ، بمعناه الحتمى ، لا يمكن أن يسود كقانون

موضوعي الا في عالم الميكانيكا ، لا في عالم الانسان! الآلة اليوم أفضل من آلة الأمس ، وآلة الغد أفضل من آلة اليوم · أفليس من العبث ، اذن ، نقل فكرة التقدم من عالم الميكانيكا الى عالم الانسان ؟

أليس في مجرد اخضاع الانسان لقوانين التقدم الميكانيكية تشويه لحقيقة معنى الانسان وحقيقة المستوى الآلي في آن واحد ؟

هذا ما يقوله الذهن المشكك في فكرة التقدم ، ليوقع هذه الفكرة في زاوية الاحراج · ولقد كتب أحد هؤلاء المشككين يقول : ان **فردريك شلر** في لحظة من لحظات الصفاء ، قد أنكر فكرة التقدم ، وهو أحد كهانها··لقد أنكرها ثلاثا قبل صياح ديك الفجر !·· أليس هو القائل « **الا ليت شعري من الذي يأتيني بالنبأ اليقين عن المستقبل ؟ كل شيء تغلفه ظلمة الديجور ·· متاهة تضل فيها الظنون ·· لاخلاص ·· لا نجم يهدى الانسان في هذا الليل البهيم !** »

هكذا يقول الذهن المشكك ، بل وقد يقول أكثر من ذلك · قد يقول باستحالة تقدم أي شيء ، لان « الشيء » يصبح « غيره » عندما يتطور أو يتقدم · فالشيء المتطور وجود لاحق على وجود سابق · وان الوجودين يختلفان كيفا كما يختلفان في الجوهرة ، ذلك أن كل شيء يصدر عن الانسان يموت فور مولده ويتحول الى عفوة تاريخية ــ على حد تعبير أحد هؤلاء المشككين ، انطوني ليجورن ·

بيد أن فكرة التقدم مضت تتسلل في مسارب الفكر الانساني ، بالرغم من زحمة الاعتراضات التي واجهتها في سياقها التاريخي المحتوم · حتى بدأ الانسان ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، يطرح أمامه ، بكل وزن قضية المستقبل الانساني على شكل معضلة يعانيها معاناة جدية حية وكان طرح قضية المستقبل الانساني اي بشكل معضلة جديدة حية نقطة تحول في موقف الانسان من وجوده اذ غدت قضية المستقبل الرافد الجديد من ابعاد الوجود الانساني .

كان الانسان ، الى ما قبل ذلك التاريخ ، اذ يطرح قضية المستقبل لا يطرحها باعتبارها قضية تشكل معضلة ذات بعد جديد ، تمتد الى صميم وجوده ، بل كانت تتخذ شكل تطلع او ترقب خارجي · اما منذ ذلك التاريخ ، فقد طفق الانسان يحاول أن يجعل من ارادته قوة تتدخل تدخلا فعليا في صوغ مستقبله ·· اى في صوغ مصيره ، أو تاريخ مستقبله ــ ان صح التعبير .

ان هذا البعد الجديد من أبعاد الوجود الانساني ·· البعد المصيري ــ ان جاز لنا التعبير ــ قد تجاهلته أو جهلته الفلسفات المادية ، واعتبرته تخطيا لواقع الانسان الفعلي ، كما تجاهلته أو جهلته المثالية الغيبية ،، واعتبرته لا يتضمن أية قيمة نهائية أو مطلقة ·

هكذا طرحت فكرة التقدم مشكلة هذا البعد الجديد من أبعاد الوجود الانساني ·· التاريخ لا يعرف الردة او النكوص ·· ليست هناك من قوة تستطيع أن تدفع عقرب الساعة الى الوراء ·· ذلك هو جوهر التاريخ!

بيد أن فكرة التقدم هذه قد خسرت كثيرا من أنصارها ، يوم أن رأوا الانسان ينكر العقل ويبطل الوجدان ، ويعمل على هدم ما بناه بالأمس ·· يوم أن رأوا الفواجع تمتد في كل الفجاج التي يرتمي فيها الطرف ·· يوم أن رأوا الحضارة الغربية تصاب بصدوع رهيبة ، وتجنح للانهيار ·

تلك هي زاوية الاحراج الكبرى ، التي تطبق على أمل الانسان في التقدم والنماء · ومن هنا نسمع اليوم تلك الاصوات التي تصرخ لانقاذ كل ما هو جميل في حضارة الانسان على انه يبدو ان جميع من ينادون اليوم بالانقاذ ، هم كمن يزعم اعادة الحياة لمحنطات دخلت التاريخ··يبدو ان الحضارة الغربية ماتت ، ولكنها ماتت ميتة رائعة مجيدة ، ماتت ميتة استشهاد فروسي جليل ــ كما يقول جوزيه جاسين ــ ··

ولكن هل يعني افول حضارة ما ، عدما لفكرة التقدم ؟

لقد افلت الحضارة الغربية ، اذ فقدت حسها الاخروي ذلك المنبع الثر الذي يلهم الانسان المتطور قواه لمعانقة مصيره · بيد أن الايمان بالانسان المتطور الصاعد يملي عليه أن يهتف اليوم ، كما يهتف دوما: « لقد ماتت الحضارة القديمة !·· فلتعش الحضارة الجديدة ! »

هكذا يهتف الانسان من هاوية السأم والسقوط أبدا ، وينهض مرة أخرى، من وسط الدخان والصروح المنهارة وعظام الموتى ·· ويظل يهتف : الى الامام !

محيي الدين اسماعيل

في مهرجان الشعر الخامس

للأستاذ العوضي الوكيل

شوامخ المهرجان

٣

استطاع الاستاذ محمد التهامي في العدد (٢٢من الرسالة) أن يقف ويستوقف وأن يبكي ويستبكي ، وأن يذكر النقد والادب في كلمة واحدة ، تماما كما فعل امرؤ القيس في مستهل معلقته الخالدة .

ولا رد لي على الصديق ، لان كلامه نفسه ينهض ردا عليه ، فهو ـ كرما منه ومنا ـ قد ناب عني في الرد على نفسه،اذ أخذ يدور ويلف حول جو القصيدة زاعما أني اقررت وانكرت في وقت معا . دون أن يدري أن الشيء الذي لاطعم له ، طعمه انه بغير طعم والاستاذ التهامي عزيز على نفسي ولكن الحق عندي اعز منه وانا لا استجدي الرضاء بما اكتب عما اكتب كما يريد بعض الشعراء أن يستجدوا التصفيق حين ينشدون فيرتجلون أو لا يرتجلون . وأخيرا أعتذر الى الصديق حين أنفك اصابعه من ثيابي لأمضي فيما انا فيه من نقد شعر المهرجان .

واليوم يجيء دور الحديث عن شوامخ القصائد في المهرجان ، تلك التي تستطيع واحدة منها أن تنهض وحدها بمهرجان ، لانها استطاعت وحدها أن تكون قمة من قمم الاعمال الفنية ذات الاعتبار .

وفي هذا المجال تذكر قصيدة « وقفة في قرطبة البيضاء» للشاعر عزيز اباظة وتذكرقصيدة «شاطيء الاسكندرية » لعبد الرحمن صدقي ، كما تذكر قصيدة محمود حسن اسماعيل ـ رغم ما أخذه عليها الاستاذ عدنان أسعد في بعض اعداد الرسالة الماضية ـ وكذلك تذكرقصيدة عادل الغضبان فانها من الشوامخ رغم تلك الحرب الزبون التي وقعت بين شاعرنا الفحل وقافيته السهلة . والى جانب هؤلاء يستطيع طاهر الجبلاوي أن يقف بقصيدته وكذلك محمود عماد وعلى الجندي ، ومحمود غنيم ومحمد عبد الغني حسن ، والدكتور عمر الجارم لولا قواف خوارج على رقته وحلاوة نظمه .

وفي هذا المقام لا يمكن أن يخلو ديوان الشوامخ من قصيدة صالح جودت ، تلك التي ألهبت المشاعر وأثارت الثوائر ، ولا قصيدة باكثير .

ومن أسف أنني لم أستطع الحصول على نسخ من بعض تلك القصائد ، ولست من ائمة الحفاظ حتى احفظها يوم كانت تتلى على الاسماع في المهرجان ، وحاولت الحصول عليها من الشعراء فأسعفني بعض ونكل بعض . والمطبوع منهـا على الرونيو منطمس المعالم ضائع النقط في بعض الابيات ، مما يحـول بين الانسان ومتابعة القراءة أو متابعة الاستمتاع .

وقصيدة عزيز أباظة من تلك القصـائد التي اسعدتني الظروف بالحصول عليها وهي قصيـدة تصبح شخصية عزيز أباظة الشاعرة في كل بيت من ابياتها ، وتقف الابيات جميعا في تناسق جميـل لتتألف منها سيمفونية رائعة .

من حيث الصياغة فانك تلاحظ فيها فحولة عباسية، تستطيع أن ترجعها بسهولة الى الأصل الذى ترجع اليه أشعار البحتري والشريف الرضي ومهيـار . والقافية عصية ولكنها خضعت لقدرة الشـاعر ، خضوعا عجيبا . وندر أن تجد فيها كلمة نابية قلقة، لا ، بل انه حتى الكلمة المعجمية حين انخرطت في سلك النظم لتكون قافية لعزيز أباظة نضت عنهـا ثياب الغرابة والحوشية ، ووقفت في الصف كأنها المغنى المأنوس لا الطلل الماحل :

لبس الأذان ولا الناقوس رمز هدى
اذا النفـوس تردت في تجانفهـا

الناصر الطـافر المخشي جانبـه
في حيثما دب سـاع في تنائفهـا

لهفي على حسنها الذاوي وزهرتهـا
وحاليـات الحواشي من رفارفهـا

وعزيز أباظة ، شـاعر صاحب ذوق ، في انتقاء الفاظه ، ولكنه لا يختـار الا وفق ما يتجه الهامه ، فتمت مطابقة بين الفاظه ومعانيه ، فخامة لفظ ، في مقام فخامة المعنى ، ومثـال ذلك تلك اللمحة التي وصف فيها لقاء الناصر لسفراء الدول الاجنبيـة ، يقول عزيز :

ذكرت يوم الوفود الضخم ، ساعية
للقصر ترفـل في ضـافي ملاحفهـا

تمشي فتمشي قلوب في صـدائرها
فرابط الجأش فيها عـدل واجفها

وحين أفضت الى أسـتار سدته
وأوقفت حلقـات في مواقفهـا

أهـل فى هـالة من سروه ملك
من عبد شمس تدلى من غطارفهـا

فخيم الصـمت الا نبض أفئـدة
يشد راعـدها من عزم راجفهـا

وقيل للقوم أدوا من سـفارتكم
الى الخليفة وامضـوا فى شواغفها

فرف كل كبير من عواطـفهـا
وخف كل وقـور من أساقفهـا

ولعزيز أباظة غرام أى غرام باستقصاء المناظر والمواقف فى قصائده ، ويظهر أن ذلك عدوى وصلت الى شعره العادى من شعره المسرحى ، فلا يكاد يعرض مشهدا من المشاهد حتى تعمل ملكة الاستقصاء لدى الشاعر عملها ، ففى مشهد السفراء السابق ، يصف قدوم الوفود وتنظيمها ووقوفها حلقات فى مواقفها ، ثم لا ينسى ما خيم على المكان من صمت رائع ، ثم يأخذ خياله بعد ذلك فى تصنيف الوافدين فمنهم من جاء خائفا يستأمن أمير قرطبـة وملكها ، ومنهم من جاء طالبا العلم والمعرفة والتحضر :

بين الوفود ملوك غـير آمنـة
فجاورته لواذا من مخاوفهـا

وبينهـم أمم ذاقت حضـارته
فأقبلت تتملى من لطائفهـا

وغيرها لم ترد جنـات قرطبـة
الا لتنهل من صـافى معارفهـا

وقد يقـال ان عزيزا يحذو حذو شـوقى فى أندلسياته ، أو يعارضه ، ولكننا نرى ان شـعر الاندلسيات أوسع مدى من أن يكون موضوعه فكرة يتلقاها لاحق عن سابق ، خصوصا وأن عزيز أباظة قد اشتهر بالرحلات ، وزار الاندلس أكثر من مرة ، وتملأ بحب هذه البـلاد ، وبعصرها الذهبى ، حتى أوحى له ذلك بمسرحية شعرية عظيمة ، يضعها بعض النقاد فى المرتبة الاولى من مسرحياته ، ويكون عجيبا أن نخص شوقى بالتأثر دون تلميذه عزيز ، على أن كلا منهما يتجه اتجاها يكاد يباين اتجاه صاحبه فى القصيد .

وفى القصيدة تشخيص جميل ، حين يسـمع الشاعر من قرطبة نفاثات مكتمة قد غالبتها ، وحسرة ودموعا تستحيى فتجف فى مآقيها :

قالوا بلغتم ، فهـذا نور قرطبة
فقلت دل عليها نور .. سالفها

أجـل ، ودلت نفاثات مكتمة
قد غالبتها فضلت فى مراشـفها
وأدمع فى مآقيهـا تدافعهـا

لولا الحياء همى أسكوب واكفهـا

وثمت لفتة جميلة من الشاعر الذى رأى مسجد قرطبـة وقد تحول الى كنيسـة ، استبدلت فيهـا النواقيس بالأذان . فلا يرى فى هذا التبديل شيئا ذا بال ، لان النفوس هى النفوس مصيخة الى أذان أو مصغية الى ناقوس ، والهدى الحق فى النفس وليس فى ناقوس ولا مئذنة . ولعل هذا المقطع من أكثر مقاطع القصيدة الشامخة تأثيرا فى نفوس سامعيه :

يا جارة المسـجد الباكى ومئذنة
الله كان يناجى من مشـارفها

ماذا دهاها فأمست وهى ناعـدة
فى غير ما عهـدته من معاطفهـا

هذى النواقيس ان زين هامتهـا
فقـد تحيفن شما من مراعفهـا

الدين لله لولا أنهـا غـير
ترمى براعدها الدنيـا وراجفهـا

ليس الأذان ولا الناقوس رمز هدى
اذا النفوس تردت فى تجانفهـا

والقصيدة ، وقد صاغها الشاعر المبدع على نمط عباسى من الفحولة والجزالة لم تفقد مع ذلك وحدتها وتماسكها ، وترابط أبياتها ، حتى أبيات الحكمة التى ساقها الشاعر خلال مشـاهده ترتبط بمكانها من القصيدة ارتباطا متينا فبعد أن وقف الشـاعر أمام دوارس الطلول ، وذكر ماضى قرطبة العربى الزاهر متحسرا متألما قال :

الدهـر يومان ، والأيام حاملة
خط الوجود جئينا فى لفائفهـا

ما ذاك من عمد الدولات فانصدعت
كالخلف شب لظـاه فى طوائفهـا

وقد تصـاب فتلقى حتفها أمم
لا من مخالفهـا بل من محالفها !

العوضى الوكيل

الكلمة الطيبة

للأستاذ عبد الرحيم فوده

تصدق الكلمة الطيبة على كل كلمة نقية يرتاح لها الضمير . وينشرح بها الصدر ، لأن معنى « طاب » زكا . وطهر . وصار حلالا ، و « الطيب » كل ماخلا من الأذى والخبث ، وكل من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل كما جاء فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة . وفى المفردات للراغب الأصفهانى .

فمعنى الكلمة الطيبة يسع كل هذه المعانى ومن ثم فسر الكلم الطيب فى قوله تعالى : **(اليه يصعد الكلم الطيب)** بأنه كل كلام يكون ذكرا لله . أو يراد به وجه الله . كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة . والعلم النافع كما فسر بأنه الكلام الحسن ، وقد أمر الله بحسن القول حيث يقول سبحانه : « **وقولوا للناس حسنا** » ومدح المؤمنين بأنهم كما يقول سبحانه : « **وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد** » وقد جاء فى الحديث : أن الكلمة الطيبة صدقة . بل انها كما يقول الله « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى** » .

اما الكلمة الخبيثة ، فمعناها يسع كل ما يقابل هذه المعانى كالقبح والرداءة والزيف والكذب وما الى ذلك مما تستقذره الطباع السليمة . وتنبو عنه الاخلاق الكريمة وينهى عنه الله ورسوله ، وقد سال معاذ بن جبل النبى صلى الله عليه وسلم : أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ فقال عليه السلام : وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم ، ومعنى حصائد ألسنتهم ـ كما قال الازهرى ـ ما قالته ألسنتهم وهو ما يقتطعونه من الكلام الذى لا خير فيه

لكن ما المراد بالكلمة فى قول الله تعالى : **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .. ؟**

وما المراد بالكلمة الخبيثة فى قوله سبحانه : « **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار** » ؟

ثم ما المراد بالشجرة الطيبة التى تجمع الى ثبات أصلها وسمو فرعها أنها تؤتى أكلها كل وقت ، فثمرها دائم وخيرها متصل .. ؟

وما المراد بالشجرة الخبيثة التى اقتلعت وانتزعت جثتها من فوق الأرض فليس لها بقاء عليها أو استقرار فيها .. ؟

رجعت الى كتب التفسير فى هذا الموضوع . فوجدت حصيلة ما قرأته لا يستغرق بضع دقائق ، فالكلمة الطيبة عند بعضهم كلمة الايمان ، وعند غيرهم كلمة التوحيد ، وعند آخرين كل قول حسن والشجرة الطيبة عند بعضهم النخلة ، وعند غيرهم شجرة فى الجنة ، وعند آخرين التين ، والحين على أساس أن الشجرة الطيبة هى النخلة ، سنة عند بعضهم وستة أشهر عند غيرهم . وشهران عند آخرين ، ولكل وجهة يتجه اليها ودليل يسترشد به .

وعلى هذا النحو من الاختلاف جرى الحديث عن الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة فمن قائل انها كلمة الكفر ، وان الشجرة الخبيثة هى الحنظلة ، ومن قائل انها كل كلمة باطلة أو قبيحة ، وان المراد بالشجرة الخبيثة كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث وهو ، بفتح الكاف وضمها ، نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له فى الأرض كما جاء فى القاموس .. هذا مجمل ما قيل فى تفسير الآيتين الكريمتين وقد رأيت ان اضع هذه الآراء فى جو السورة وأن استرشد بالسياق واللحاق لمعرفة أى هذه الآراء أكثر ملاءمة للمقام فتألقت فى ذهنى هذه الخواطر والقرائن :

١ ـ ان هاتين الآيتين من سورة ابراهيم عليه السلام ، وابراهيم هو أصل لأسرة تمثل شجرة طيبة أسماها وأعلاها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد وهب له الله على الكبر اسماعيل واسحق . وقد ولد له يعقوب وولد ليعقوب اثنا عشر رجلا كان منهم يوسف ، كما ولد لاسماعيل اثنا عشر رجلا ، وظلت هذه الشجرة تنمو وتزدهر وتثمر وتكثر فروعها ، فكان منها الأنبياء . ثم كان منها خاتم النبيين وامام المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، وفى ضوء هذا التفكير بدا لى انه ليس من الغريب أو العجيب ـ كما ظهر لى فى بادىء الأمر ـ أن تكون الكلمة الطيبة هى المؤمن كما رأى بعض المفسرين . وذكروا فى تأويل ذلك أن عيسى عليه السلام سماه الله كلمة حيث يقول : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ولعل مما يلتئم مع هذا الاتجاه ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوما : (ان من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن) فوقع الناس فى شجر البوادى . ووقع

فى قلب ابن عمر رضى الله عنهما أنها النخلة ولكنه استحيا – لصغر سنه – أن يقولها حتى قالها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد شبه النبى المؤمن بالنخلة وان لم يذكر أنه كان بذلك يفسر الآية الكريمة ٠

٢ – لقد بدئت السورة بقوله الله : « **الر ٠ كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » وختمت بقوله: **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب** » والمتأمل فى القرآن يجده كله كالشجرة المزهرة المثمرة التى تمتد أغصانها فى كل اتجاه ، وأقرب الامثلة لذلك هذه السورة وسورة الرعد وسورة هود ، قبلها وسورة الحجر بعدها ، فقد بدئت كلها بالحديث عن القرآن ، وهو المعجزة الباقية على الزمن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو كما يقول الله فيه «كتاب انزلناه اليك مباركا » فخيره متصل ٠ وبركته نامية ٠ وآياته كما يقول شوقى :

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

وفى ضوء هذا الشعور والتفكير بدا لى أنه ليس من الغريب ولا من العجيب – كما ظهر لى فى بادىء الأمر – أن تكون الكلمة الطيبة هى القرآن كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين ٠ فان الكلمة تطلق وتصدق على الكلام ٠ وورد ذلك فى القرآن نفسه حيث يقول الله تعقيبا على كلام فرعون: «**كلا انها كلمة هو قائلها** » ٠

٣ – ان المتأمل فى القرآن يجد كلمة التوحيد فيه بمثابة النواة من الشجرة ، بل لقد فسر بها حيث يقول الله فيه : « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ٠ الا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير** » والمتأمل فى دعوات الانبياء ورسالات السماء يجدها كلها تقوم على كلمة التوحيد كما يفهم من قوله تعالى : « **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**» وقوله : «والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وقوله : « **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره** » وقوله على لسان يوسف : **يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » وقوله لموسى : « **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انه أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى**» وقوله على لسان عيسى: « **ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** »٠

وقد كانت هذه الكلمة هى دعوة ابراهيم « **اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** »

فالتوحيد دعوة كل نبى أرسل ٠ وعمدة كل كتاب أنزل ٠ وفى ضوء هذا بدا لى كذلك أنه ليس من الغريب ولا من العجيب أن تكون الكلمة الطيبة هى كلمة لا اله الا الله كما اتجه الى ذلك أكثر المفسرين ٠ بل لقد ظهر لى فى ضوء ذلك ضعف ما قيل من أن كل كلمة حسنة تعد كلمة طيبة ، كما يفهم من قول الله قبل ذلك فى هذه السورة : « **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد** » كما يفهم من قوله تعالى لاحبار بطنى اسرائيل : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** » وقوله سبحانه « **يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** » ٠

٤ – والمتأمل فى قول الله بعد هاتين الآيتين : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** » يستطيع أن يجد فيه كل ما سبق من الآراء فى الكلمة الطيبة ، فالمؤمن الذى يثبته الله فى الدنيا والآخرة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، والقرآن وقد تكفل الله بحفظه وقال فيه : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، وكلمة التوحيد وهى أصدق كلمة وأثبت كلمة كما يفهم من قوله تعالى «شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، ويمكن أن تفسر الكلمة الطيبة بكلمة تسع كل هذه الآراء وهى الحق ٠ وتفسر الكلمة الخبيثة بكلمة تسع كل ما سبق من الآراء وهى الباطل الشر والفناء وذلك بعض ما يفهم من قوله « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء » ٠

رثاء الإمام الراحل

للدكتور سعيد أبو بكر

شيعوه بليلة الاسراء ... علم الدين خيرة العلماء
نفد السهم ما لحى بقاء ... يتغيبه على ثرى الغبراء
هذه الدنيا من مباهج فخر ... ضحك ينتهي بفيض بكاء

***

لهف نفسى على فضيل تولى ... نابه الذكر فى جلال السناء
حائز السبق فى جميع النواحى ... لم يغير صباحه بمساء
روض علم ذوى ورمز تقاة ... كان نورا وشعلة من ذكاء
عزة فى تواضع واجتهاد ... في اقتدار وهيبة فى حياء

***

يا ضياء ببلدة بك تاهت ... واستطالت على نجوم السماء
انها اليوم فى المصاب تعانى ... لوعة الثكل دون أى عزاء
كنت امام دينها وهداها ... فابتلاها الدهر فيك بالبرحاء
كنت غضبا على الشرور فقيها ... فى مبين وملة سمحاء

***

ان ظنى وليس ظنى اثم ... أن قبرا حواك قبلة الرحماء
مثلما كنت فى الحياة اماما ... للتقاة الهداة والحكماء
أيها النجم ما عهدناك تخبو ... بل عهدناك دائم اللألاء
ما فقدنا ذكرى الهداية لكن ... قد فقدنا الدليل فى الظلماء
ليس سهلا على النفوس رجاء ... قد تولى وكان كل رجاء
أنت عودتنا العزاء فعذرا ... ان فقدنا العزاء بعد الثناء
يا قوى الهدى عليك سلام ... وعلى سجاياك ألف ألف ضياء
وعلى الروح فى الجنان سحاب ... يمطر الطيب صباح مساء

دكتور سعيد ابو بكر

بقية الكلمة الطيبة

وهكذا وجدت نفسى مرة أخرى مع المرحوم فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه «**النبأ العظيم**» حيث يقول رحمه الله : (وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فيها من الشفوف والملاسة والاحكام والخلو من كل غريب عن الغرض مايتسابق به مغزاها الى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث. كأنك لاتسمع كلاما ولغات ، بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل اليك أنك قد أحطت به خبرا · ووقفت على معناه محدودا ، ـ هذا ولو رجعت اليه كرة أخرى لرأيتك منه بازاء معنى جديد · غير الذى سبق الى فهمك اول مرة وكذلك ··· حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح او محتمل للصحة ، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فاذا نظرت الى أضلاعه جملة بهرتك بالوان الطيف كلها فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع · ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت) ·

أما الشجرة الطيبة التى وصفها الله بأن أصلها ثابت وفرعها فى السماء وبأنها تؤتى أكلها كل حين، فالذى أراه وارتاح اليه أنها ـ مع امكان وجودها ـ مجرد مثل ضربه الله ولعل هذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون » ·

عبد الرحيم فودة

الرّجال الطيّبون

للأستاذ ابراهيم عبد الحميد عيسى

« الى بورسعيد ٠٠ في العيد السابع ٠٠ لانتصارها الخالد »

الشط نام على ذراع الليل ٠٠٠ يستملى فتونه
عريان من صخب الضحى ٠ ٠ لكن تلفعه السكينه
والموج يقظان ٠٠ بوشوشه ٠ ٠ يبلغه حنينه
والريح متعبة الخطى تشدو بهمهمة حزينه
والليل يعبث فيه مصباح تأرجح في سفينه
عرس الطبيعة في الدجى ولديه قد نامت مدينه
وقف الخلود حيالها .. يرنو .. لأمجاد سجينه

***

نشر الظلام غطاءه الداجي ونامت بور سعيد
الا رجالا طيبين سعوا الى رزق جديد
ثقبوا جدار الليل وانطلقوا الى البحر العنيد
ومضوا الى المجهول فوق زوارق حيرى تميد
وعلى المدى طرحوا الشباك وفوقها أمل وليد
وأتى الصحاب ٠٠ فسامر يشدو ٠٠ وآخر يستعيد
والشاى يسكب دفأه وكأنه قبلات غيد

***

لكن تمردت الرياح ٠ ٠ ٠كأنها وجه الجراح
فاذا الرجال الطيبون هناك ٠ ٠ كالقدر المتاح
وتفرقوا ٠ ٠ وتجمعوا يلوون أعناق الرياح
حتى اذا ذلت جباه الريح فى كف الكفاح
وبلا سلاح ٠٠ كان نصر الكادحين ٠٠ بلا سلاح
جمعوا الشباك ٠٠ وهللوا للرزق فى وجه الصباح
واستيقظت شمس الحياة ودف فى العش الجناح

***

حتى اذا غسل الصباح بنوره وجه الظلام
وتثاءبت أبوابنا الكسلى وأخرجت النيام
انساب للميناء جيش الزاحفين الى الامام
يستقبلون بواخرا بين الرحيل أو المقام
وسعوا اليها حاملين الخير ٠٠ زادا وابتسام
حتى اذا حان الوداع ورف فى الأفق الحمام
نثروا عليها من قلوبهم المحبة والسلام

وإذا صباح شـاحب الأضواء ·· مصفر الجنى
والشمس حين تسللت كانت مطاطأة السـنا
وصحا الرجال على عواء القـدر يفتك بالمنى
بالدار .. بالأطفال .. موت من هناك ومن هنـا
وانساب قطـاع الطريق على الربى والمنحنى
كاللعنـة السوداء ·· كالليل المدنس ·· كالخنا
تعوي مجاعة حقدهم ·· وتجر أشباح الفنـا

❋❋❋

وهناك بين خرائب ثكلى ·· ودور معتمـه
أشـلاء أم مزقتهـا دمـدمات مجرمه
وحيـالها طفل يناديهـا عسى أن ترحمـه
وتلقفتـه هناك قضبـان الليـالي المعدمه
وبكى الصغير وعلم الدمع المعذب موسـمه
فتكاد تمسح دمعه تحت التراب الجمجمـه

❋❋❋

وسعى الرجال الطيبون بخطو جبـار كفر
عشقوا السلام ·· وآمنوا بالحب يحتضن البشر
لـكن لأجل كرامة الإنسـان ·· والوطن الأبر
ألقوا شبـاك الثأر ·· ترتجل المنـون ·· وتعتذر
وانهار قطـاع الطريق كعقـد ذل منتثر
وتسـللوا كقطيع جرذان يطـارده القـدر
وغدوا بقـايا قصـة ملعـونة بين البشر

❋❋❋

وأتت جموع الطيبين الصـاعدين الى الشروق
تلقى بجيفة مجدهم لليـل ·· للبحر العميق
كجنـازة ما شيعتها دمعـة ·· وبلا رفيق
وانداح صـناع الحيـاة الى غـد حـر وريق
كالنحـل يعصر عمره ليذوب في معنى الرحيق
وأتى مساء زركشته نجومـه بسنـا البريق
وتبرجت بضيـائها حتى مصـابيح الطريق

❋❋❋

وآلشـط نام على ذراع الليـل ·· يستملي فتونه
عريان من صخب الضحى ·· لـكن تلفعه السكينه
والموج يقظان ·· يوشوشه ·· يبلغه حنينـه
والريح متعبة الخطى تشدو بهمهمـة حزينـه
والليل يعبث فيه مصباح تأرجح في سـفينه
وعلى جبين المجد نامت بورسعيد ·· بلا ضغينه
الحب مهد سريرها ·· والقـاب أودعها عرينه

ابراهيم عبد الحميد عيسى

القصة عند العرب

للأستاذ عبد الحميد ابراهيم محمد

انطلق الاستعمار في العصر الحديث يتسلط على شعوب الارض ، معلنا ان الله قد انتدبه للنهوض بالبشرية ، وتعمير فاسدها .

وكان لابد ان ترادفه نظريات تؤيد وجهته ، فاندفع بعض الباحثين يقسمون العالم الى اجناس ، فهذا جنس آرى ممتاز ، قد منحه الله الدهشة للعالم ، وافاض عليه العاطفة المشبوبة ، والخيال الواسع ، فاخرج للانسانية القصص الرائع ، والمسرحيات المبتكرة ، وذاك جنس سامى ، لم يوسع الله عليه ، فحرمه الخيال المبتكر ، والعاطفة الخلاقة ، فلم يبتكر قصة ، ولم يخلق مسرحية ، يقول ارنست رينان : « .. الشعر العربى الذى تمثله القصيدة يعبر عن احساس شخصى وعن حالة نفسية خاصة ، والابطال فى هذا الشعر نفس منتشية ، وهذه الصفة الشخصية التى نجدها فى الشعر العربى والشعر الاسرائيلى ترجع الى خصائص اخرى من خصائص النفس السامية ، **وهى انعدام المخيلة الخالقة ، ومن هنا لانجد عندهم أثرا للشعر القصصى أو التمثيلى** » .

والحق ان نظرية الجنس هذه ، أو نظرية الحق الالهى التى تمنح جنسا وتمنع آخرين ، يدحضها الواقع العلمى وتبطلها الدراسة المقارنة للحضارات الانسانية ، ويفندها كثير من المستشرقين المنصفين ، واخيرا يقضى عليها الواقع التاريخى للعرب .

فالواقع العلمى لم يثبت فروقا فطرية بين شعوب الارض ، فالكل لآدم ، والكل مشتركون فى الهبات الانسانية . ففى المادة ٩ من « بيان عن طبيعة الجنس والاختلافات الجنسية » الذى وضعه علماء الانثربولوجية وعلماء الوراثة بدار اليونسكو بباريس ، وقد نشر فى كتاب (ما هو الجنس) الذى ترجمه الدكتور يوسف أبو الحجاج استاذ الجغرافيا المساعد بكلية آداب عين شمس — جاء فى هذه المادة .

ب — لا تكفل المعلومات العلمية المتوافرة لدينا اى أساس للاعتقاد بأن مجموعات النوع البشرى تختلف فى مقدرتها الفطرية على التطور العقلى والانفعالى .

د — حدثت تغييرات اجتماعية هائلة لم تكن مرتبطة بتغيرات فى نوع الجنس ، وهكذا فان الدراسات التاريخية والاجتماعية تدعم الرأى القائل بأن الاختلافات الفطرية قليلة الاهمية فى تحديد الفروق الاجتماعية والثقافية بين مختلف مجموعات الناس .

والدراسة المقارنة للحضارات تثبت ان الحضارة قسمة بين شعوب الارض ، فقد كانت الحضارة عند المصريين الفراعنة حضارة مادية ومعنوية ، شيدت الاهرام ونادت بالتوحيد ، ثم انتقلت هذه الحضارة الى اليونان وهناك من اثبت بأدلة يقينية ان اليونان فى دياناتهم وآدابهم تتلمذوا على المصريين القدماء ، واثبت ان هوميروس فى الالياذة اقتبس بل وأخذ كثيرا من القصص المصرية وأدخلها فى ملحمته . ومن هؤلاء فيكتور برارد الفرنسى مترجم الالياذة وشارحها . ثم كانت الحضارة الرومانية طبعة جديدة للحضارة الاغريقية ، ثم تمثلت الحضارة العربية الاسلامية نتاج الحضارات السابقة ، فكانت خلقا جديدا . واخيرا — وليس آخرا — جاء الدور على الاوربيين ، فظهرت الحضارة المعاصرة التى ساهم فيها التراث الاغريقى ، كما ساهم فيها التراث العربى ، لان الحضارة العربية كانت ، ولا تزال — كما جاء فى مقال لجورج سارتون نشر بالمجلة يوليه سنة ١٩٦٣ — الى حد ما قنطرة ، وقنطرة رئيسية بين الغرب والشرق ، فعبرها اخذت طريقها الى اوربا ، الأعداد والجيوب الهندسية ، والشطرنج من الهند ، والحرير والورق والخزف من الصين .

على ان فريقا من المستشرقين المنصفين لم يسلب العرب حقوقهم الطبيعية ، فقد حاول المستشرق «جب» ان يظهر اثر الادب العربى فى الآداب الغربية ، وبخاصة فى أدب القصة فى القرون الوسطى ، فوفق الى ذلك توفيقا كبيرا فى بحثه القيم فى كتاب « تراث الاسلام » .

ثم ان الواقع التاريخى يظهر ان العرب قد عرفوا القصة فى مختلف عصورهم ، وانهم توصلوا الى انواع مختلفة من القصص ، وأفانين متنوعة من الخيال .

وربما انكر المنكرون معرفة العرب للقصة ، وفى ذهنهم تلك القصص الفنية فى العصر الحديث ، فحين بشر « بو » — كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية — بنظريته عن الوحدة فى القصة القصيرة لم تلق آراؤه آذانا صاغية الا بعد مرور اربعين سنة .

على ان القصة ـ بمعناها الواسع ـ عرفها العرب فى مختلف عصورهم ، فهناك مثلا أساطير كثيرة ترددت فى العصر الجاهلى ، كتلك الاساطير التى نسجت حول « لقمان بن عاد » فقد تزوج نساء عدة ، كلهن خنه ، الامر الذى عقد سلوكه نحو النساء ، واخيرا ـ كما ذكر صاحب مصارع العشاق ص ٣٨ ـ تزوج جارية صغيرة لم تعرف الرجال ، ونقر لها بيتا فى سفح الجبل ، وجعل له درجة بسلاسل ينزل بها ويصعد ، فاذا خرجت رفعت السلاسل ، حتى عرض للجارية فتى من العماليق ، وتحايل حتى استطاع أن يصل اليها وانتهى الامر بخيانة الجارية وانكشاف الامر للقمان .

ونزل القرآن بنحو خمسين قصة عبرة لأولى الالباب ، وقد أولع العرب بهذه القصص، وانطلق المفرون والقصاصون يرضون فيهم تلك العاطفة، فأخذوا يفيضون فى تفسير تلك القصص، مستعينين بقصص أهل الكتاب وما تداوله الناس فى العصور الماضية .

وفى العهد الاموى كثر فى الحجاز نوع من القصص عبر خير تعبير عن الظروف السياسية والاجتماعية التى ابتلى بها الحجازيون فى ذلك الحين ، وهى تلك القصص التى نسجت حول العشاق، ولاسيما العذريين منهم من أمثال : المجنون ، وجميل ، هذا النوع أسميه « قصص العشاق النثرية » . وقد اتخذتها موضوعا لتحضير رسالة الماجستير فى كلية دار العلوم .

وفى العصر العباسى حين انتشرت فلسفة مانى واباحية مزدك ، وسفر الفجور والظرف ، وطفح الشذوذ والانحراف ، شفت القصة عن تلك الحالة الاجتماعية ، فظهرت ألوان من قصص الادب الصريح ، أو ما نسميه الادب المكشوف ، ونظرة يسيرة الى أسماء بعض الكتب ـ كما فى فهرست ابن النديم ص ٤٢٥ ـ تكشف لنا عما تحتويه هذه الكتب ، ككتاب قصص النساء والباه ، وكتاب البغاء ولذاته ، وكتاب السحاقات، وكتاب المخنث والفتاة التى عشقته .

وهكذا نجد أن القصة تواكب كل العصور العربية ، فالعرب لم يحرموا الخيال المبتكر فى أى عصر ، ولم يكن خيالهم ضيقا محدودا ، بل كان متنوعا واسعا ، فالقصة اتخذت عندهم أمشاجا مختلفة ولبست مسوحا متنوعة فهناك القصة ذات الطابع الفلسفى، كرسالة التوابع والزوابع لابن شهيد التى يعدها كثير من المستشرقين ذات بدرة فنية مبكرة ، وهناك القصص ذات الصبغة الحكائية ، كالحكايات الغنائية ، والحكايات الفخرية ، وقد جمع الاستاذ محمد احمد جاد المولى وزميلاه تلك القصص وصنفوها فى كتاب من اربعة أجزاء، سموه « قصص العرب » ، وهناك القصص ذات الصبغة الملحمية ، كقصة عنترة وسيف بن ذى يزن ،وهناك القصص ذات الاتجاه الاجتماعى كالمقامات ، وهناك القصص ذات المنحى الدينى والغاية الهادفة كقصص القرآن .

بالرغم من كل هذا فان أدباء العرب أولعوا بالشعر، وصرفوا اليه جل اهتمامهم ، وأشبع نقادهم فيهم تلك النزعة ، فطفقوا يتحدثون عن العروض والقافية ، ويؤلفون فى الموازنات والوساطة ، ويكتبون عن الشعراء وطبقاتهم ، قال صاحب العمدة ٤/١ « وكل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه فى معترف العادة ، الاترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه اذا كان منثورا لم يؤمن عليه ، ولم ينتفع به .. فاذا نظم كان أصون له من الابتذال واظهر لحسنه.. » .

ولهذا لم يهتم ادباء العرب بالقصة اهتماما ملحوظا ، فانحصرت القصة الفلسفية فى فئة معينة، ولم يقصد من الحكايات الا التسلية وتزجية الوقت واحتقروا قصص عنترة وامثاله ، وانحرفوا بالمقامات الى المماحكات اللفظية والاستعراضات اللغوية ، وحشو القصص الدينى بالاسرائيليات والمبالغات ، ولم يحاول نقادهم اثراء هذا الجانب، أو توجيه الادباء الى هذا المنحى ، فلم يتحدثوا ـ حديثا جديا واسعا ـ عن الفن القصصى وعناصره، ولا عن القصاص وطبقاتهم ، ومن أجل هذا لم تصبح القصة عند العرب قالبا تقليديا يتوارثه الخلف عن السلف ، يفرغ فيه الأدباء شحناتهم ، ويستعرض فيه النقاد قرائحهم ، لم تصبح القصة قالبا تقليديا الا فى مطالع هذا القرن حين اتصلنا بالغرب، واطلعنا على مظاهر النهضة ، فانطلق الأدباء يكتبون، والنقاد يقيمون، وتعددت المذاهب، وتنوعت السبل، حتى كادت القصة ، أن تغطى على الشعر وتحجبه

وقد آن الأوان لكى يهتم نقادنا ، ويجد باحثونا فى الكشف عن هذا التراث المطمور ، والعناية بهذا الجانب المغمور، حتى تدفع قالة المتقولين ، وأرجاف المرجفين .

عبد الحميد ابراهيم محمد

خواطر وآمال

للمستشار أنور حجازى

- ٤ -

وحرص الحاكم اشد الحرص على أن يرتفع بمفهوم الوحدة الى مستوى الايثار والتضحيه والمعاونة ، وتمثل ذلك جليا فى زيارة له فى أقصى الشمال ، فى سوريا ، لما لمس حاجة الناس لمياه الشرب من جوف الآبار والعيون ، ولم يكن فى خزائن الاقليم السورى ما يوفر للقوم تلك الآبار ، فاستقطع الحاكم « رئيس الجمهورية العربية » مليونا من الجنيهات من خزائن الاقليم المصرى ، الذى خصص لمشروعات حيوية ولازمة ، ودون تردد او ابطاء ، فكان ايثارا كالافتداء سواء بسواء توارت به كل العوائق والعقبات .

جنيهات تقدم بها عرب الى عرب يفتدون بها اخوة مسهم الظما ، ومست الحاجة ، فاقتضى الامر معاونة وايثارا وتكريما ، ونضحت الآبار ماء طهورا سقى منه الظامئون ، وانبت الزرع ، واحيا الآمال فى النفوس المؤمنة المطمئنة .

وهكذا انبثقت ابان الوحدة امارات رائعة للايثار والافتداء والمؤازرة ، تجلت فى سلوك الحاكم ومعاونيه — وفى سلوك الأفراد والمواطنين العرب فى كل قطر وفى كل مكان ، فتقاربت نوازع الحس العربى فيما بينهم ، وتوثقت الالفة بالتعامل والتودد والمصاهرة ، وظل الاتحاد قويا وثيقا ، وان تعرض فى ثنايا الايام لما تتعرض له علائق الاخوة وذوى القربى من تنافر يسير فى وجهات النظر ، او الخلف اليسير فى الراى والفكرة احيانا ، مثل ذلك الذى يثور فى مجالات كل دولة وكل حكومة .

وانتكست الوحدة التى اقامتها القوى الشعبية الراغبة انتكاسا مهينا موقوتا ، يتعثر فى كل يوم ، وتخور قواه كلما تعرض لامتحان النزعات الشعبية الواعية ، التى صارعت قادة الانتكاس وصناعه حتى اهتزت مصاريع الزمام فى ايديهم اهتزازا عنيفا فلم يجدوا مفرا من مداراتها ومهادنتها بالزيف تارة والبهتان تارة اخرى ، ثم لبسوا مسوحا غير مسوحهم الحقيقية ايهاما وتضليلا لبوائاب الوحدة والعروبة فى زيف مفضوح فانكر عليهم ذلك المجاهدون الصابرون المخلصون ، وابوا ان تنطلى عليهم الفرية فراحوا يباغتونها فى كل مناسبة بكشف الستر وتحدى قوى الشر التى تحصنت بسلاح الدولة وجاه السلطان ، ولكن المجاهدين المؤمنين استرخصوا الحياة لتنتصر دعوة الحق التى آمنوا بها « وحدة العرب فى عصبة يتكامل بها قدرها واعتبارها لتكون حصنا حصينا ورجاء ماموما ، وسبيلا للعزة والفلاح » .

التقى هؤلاء البسلاء الاشداء بالحاكم الموقوت الذى نصب نفسه على شان الحكم فى ظلمة الضلال ، وتوسل اليه بالتضليل والتعمية والبهتان ، التقوا به فى صراع متتابع اقض مضجعه وارقه حتى تعطلت مقومات الحكم ومقدراته ، مما اضطره الى تحريم مناهل العلم على طلابها كما عطل كثيرا من النشاط الثقافى والتربوى بالنسبة للشعب السورى الحبيب

ولم يفزع الحاكم الغاشم لكل ذلك ، بل افزعه وروعه ان ترتد السلطة الى بنى الشعب المخلصين وصوان حقوقه ، كما افزعه واشتد به الفزع ان يتخل عنه السلطان ومظاهر الجاه ، فانتفض كالمحموم وصار بسلوكه الى مصائر الظالمين وانطلق مسعورا يبطش وينتقم ، ويقاوم المؤمنين بالسلاح والنار حتى راح منهم نفر كثير ضحية النزق والتجبر والافتئات .

ولكنه كلما ازداد فى غيه اشتد الايمان لدى العرب بحقهم فى وحدة شاملة هى أملهم المنشود فى كل حين وفى كل البقاع ، ولم يقنطوا ولم يهنوا ، بل وطدوا العزم على نصرة ترتفع بها اعلام الوحدة وتلتئم العصبة ويجتمع الشمل .

لم تفزعهم الكوارث التى حاقت بهم ، ولم تجزع الام الثكلى او البنت التى فقدت عزيزا لديها . ولم تجزع الاسرة الواحدة التى فقدت فتيانها الثمانية وهم فى عمر الزهور وفى أحلى ايام الحياة « اسرة الاتاسى » تلك الاسرة الكبيرة فى عروبتها ، الكبيرة فى وطنيتها ، الكبيرة فى كل شىء حتى فى الاستعلاء بمستوى الوطنية العربية الى حد التضحية والافتداء

واى سمو فى التضحية ابلغ من هذا الايمان العميق الذى يفتدى بالارواح ، انما هو سمو ابلغ من المعجزة واقوى من القدرة القادرة ذاتها حين يستعان بكليهما فى مجال التدليل والبرهان على قوة الايمان : الايمان بالوحدة العربية ، والايمان بقداستها وما تطوى عليه من خير وفلاح ، ايمان استلزم جهادا ومجاهدة فقدموهما فى صورة من صور الافتداء بالروح والمال والولد ، قدمت كلها طواعية

واختيارا بلا خوف او تردد ، مثلهم مثل جند الله الذين نذروا انفسهم لنصرة دعوة الحق وتدعيم اركانها فى العالمين أو يهلكوا دونها .

وفى مناسبة ذكر الانفصال الموءود نذكر اياما لا تنسى ،اياما عشناها مع ذكريات بعض العائدين من سوريا الحبيبة يوم وقعت الواقعة واعلن الانفصال المشئوم ومن بينهم العامل والقاضى والموظف ، يوم اضطروا لمغادرة الاقليم السورى وهم فى سبيلهم الى مصر ، تلقاهم اللبنانيون فى رعاية بالغة ، وحفاوة صادقة ، وقدموا لهم العون والمؤازرة ، والطعام والشراب والعلاج دون مقابل او ارتقاب جزاء ، وتبارى الاهلون فى هذه الرعاية وانفردوا بها دون الرسميين ، سواء من حكومة لبنان أو سفارة الجمهورية العربية المتحدة ، وعاد الجميع بعد استضافتهم المزودة بالرعاية والحفاوة والتكريم شاكرين لاهل لبنان نبلا وكرما وحسن لقاء، اماط اللثام عن حب دفين بين العرب اجمعين تبدى جليلا جميلا حقيقا بالذكر والتنويه تسجيلا وحمدا وثناء

يحكى زميل ناشىء كان فى مهمة قانونية فى سوريا، يحكى أنه عاد مع العائدين ، وعلم من بعض المستقبلين من رجال سفارتنا فى لبنان انهم أعدوا لهم بمعاونة الحكومة المأوى وكل ما يتيسر به امر الرحيل ، واذا بالمفاجأة تذهله عندما حملت حقائبه فى اصرار وتودع فى عربة خاصة مريحة ويحمل هو وزوجته الى بيت عربى كريم والداعى لهما واحد من اللبنانيين الكرام ، ونزلا على أسرته فى اعزاز وتكريم ، وتسابق اللبنانيون فى هذا الصدد حتى لم يبق للرسميين من العائدين عدد يستوجب الاهتمام وتكريس الجهود .

ويضيف الزميل الى قوله ان جيران الاسرة اللبنانية لما علموا بفوزها باسرة مصرية تكرمها فى بيتها دخلوا اليها واصروا على أن يسهموا معها فى هذا التكريم ولما ابت عليهم ذلك جاءوا اليها بعشائهم وتحولت بهم وبجمعهم الى عشاء حافل زاخر بالود والتكريم ، فنسيت الاسرة المصرية الصغيرة وحشة احست بها صباحا تحولت آخر اليوم الى ايناس جميل وسعادة غامرة واحست الاسرة المصرية الصغيرة أنها بين اهلها وعشيرتها بل وصفها الزميل الناشىء بأنها مظاهرة فى سمو التودد غير المصنوع طفرت بها نفوس العرب تعبيرا وتاكيدا لامارات الحب الخالد المفروض .

وحرص الزميل على الا ينسى عاملا لبنانيا ارتفع بمفهوم المساندة والمؤازرة والتكريم الى مستوى التضحية والنبل وانكار الذات ، هذا العامل الذى قام بوضع حاجياتهم فى غلافات خشبية وقطنية بذل لها من وقته يوما كاملا ، ومن ماله قسطا لاتطيقه قدرة الكادحين العاملين مثله ، ولما الحفوا فى اداء الثمن ابى عليهم ذلك واصر على ابائه راجيا ان يحسب ذلك قسط منه للاسهام فى تخفيف آلام محنة طارئة تعرض لها بعض العرب لعاصفة موقوتة من صنع اللئام الذين اجادوا الصيد فى الماء العكر مدفوعين بحقد دفين ولده فى نفوسهم حرصهم الشديد على صوالح ذواتهم وتشبثهم بالتخلف عن الركب العربى الصاعد .

وكان العامل العربى يتكلم بلغة المؤمن بما يقول ، فعدل الزميل ومن معه عن عرض المال ، وطلبوا اليه معرفة اسمه وعنوانه حتى يكتبوا اليه شاكرين وليوثقوا بينهم وبينه معرفة تتخلد على الايام صداقة ووصالا ، ولكن اذ لمح من خلال الحديث ، رغم سمو المعنى المقصود مجرد احتمال تقديم الجزاء ولو معنويا ابى ان يقدم نفسه اليهم حرصا منه على اسمى معانى الايثار والتكريم وقنع بقدر من التعريف فى نطاق نعتز به ونفخر وهو انه اخ عربى وكفى ، ادى واجبا مفروضا فى مجال يقتضيه ويستدعيه .

عقبت على ذلك وعقب الحاضرون بأن من وصم الانسانية الحديثة بالمادية ونبذ المثاليات فقد اثم فى حق هذا العربى وامثاله اثما عظيما ، ولا غرو فالرجل من منبت عربى أصيل ، مسه من الرحاب ومن الجوار وارض الرسالات ما طهره وفضله وصيره انسانا سويا، عرف معنى الايثار والتضحية والاخلاص ، فى صورة مثالية حقيقية بالتنويه والاعجاب ، لان العمل الذى قام به وعلى النحو الذى رسمه يجعله فينا مثالا يحتذى ، واملا للنشأ والاجيال كى يترسموا المعنى الطيب فى سلوكه ، ولا يكفرون حين يتعثر من بين الناس من يتنكب سواء السبيل ويحيد عن جادة الحق ، فالخير والشر قسيمان مقسومان ، ورمزان مقدوران ، تتشكل منهما الحياة وتنطوى عليهما ، ويظل كلاهما فى صراع متتابع ، والامل كبير فى أن ينتصر الخير دائما لان الحق فى جانبه ولان الحق عنوان عليه .

انور حجازى

فى موكب العلم

المساهمة الاسلامية فى الطب

للأستاذ نير واسطى

أستاذ الطب اليونانى والعربى بجامعة باكستان

- ٢ -

قناة المعدة

استخدم الاطباء العرب قبل الجميع قناة المعدة لاجراء عملية تطهير المعدة فى حالات التسمم . وكانوا يعرفون تمام المعرفة مبادىء علاج العضو بالعضو ، وهذه الطريقة فى المعالجة • نسبت للدكتور براون سيكوارد الذى مارسها منذ خمسين سنة فقط ، بينما كان العرب مطلعين عليها تماما قبل عدة قرون قبله .

وكانوا يستخدمون دماغ الحيوان لمعالجة الخلل العقلى والخصى للضعف الجنسى ، وقد ورد وصف مفصل فى هذا الصدد فى كتاب « حياة الحيوان » .

وقد شدد ابن الوافد على المعالجة بواسطة مراقبة الغذاء (اى الحمية) واوصى رضى الدين بالاغذية المغذية لمعالجة الضعف والهزال . وسجل بهاء الدولة السعال الديكى لاول مرة سنة ١٥٠٧ ، بينما اكتشفته اوربا بعد عدة قرون . وكان على ابن ربان يعتبر عرق الانسر مرضا عصبيا ويصف الكى لمعالجته . وكان ابو الحسن الطبرى اول شخص اعلن ان السل هو مرض ينتقل بالعدوى وانه لا يصيب الرئتين فحسب بل الاعضاء الاخرى ، اما مرض ورم الكلية الذى اطلق عليه اسم برايت بعد اكتشافه على يد الدكتور ريتشارد برايت فى القرن الثامن عشر فقد اكتشف فى الحقيقة على يد نجيب الدين السمرقندى منذ عدة قرون قبله . وقد شرح ايضا ان الزلال الابيض ينتقل الى البول ويصبح الجسم متورما . وكان ابو المنصور الحسن القمرى فى كتابه «غنى ومنى» قد كشف النقاب قبل عدة قرون عن «قراد الجرب» •

الجراحة

ادخل المسلمون فى الجراحة تبديلات جوهرية .

وقد اخترع ابو القاسم الزهراوى عدة ادوات جراحية شرحها فى كتابه « التصريف » •

وفى القرن الخامس عشر استعان شرف الدين سابونكو اوغلو من تركيا بكتاب التصريف ، ثم زاد عليه من خبرته مستشهدا بصور العمليات التى اجراها والتبديلات التى قام بها على الادوات الطبية .

وقد قدم ابن زهر (القرن الحادى عشر) فى كتابه « التيسير » وصفا كاملا لعملية قصبة الرئة، بينما لم يرد اى ذكر لذلك فى كتب اليونان . وكان ابن سينا اول من شرح معالجة ناسور العين (الغرب) وادخل المحراف الطبى فى مكان الجرح . وقد كان المسلمون اول من طبق طريقة التبريد لوقف النزيف ، وتقطيب الجروح بخيوط حريرية، وقد كانوا هم الذين بداوا فى معالجة الجروح بالكى .

وكان الرازى اول شخص عمد الى استخدام الكحول فى الاغراض الطبية .

وقد ساهم المسلمون مساهمة قيمة فى جراحة العين ، واجروا جميع العمليات التى تجرى فى ايامنا الحاضرة . وكانوا يعرفون تمام المعرفة اظلام عدسة العين الذى ينتج عن الكمدة العدسية . وقد استخدموا النظارات لمعالجة اختلال النظر وكانوا يضعون لها عدسات ذات قوى مختلفة .

وكان الرازى اول من اعطى شرحا لعملية استئصال اظلام عدسة العين ولوصف عكس القرنية للضوء .

وقد شرح المعلق على كتاب « الاسباب » فى الفصل المتعلق باظلام عدسة العين ، الوصف الكامل لمثل هذه الامراض التى تصيب العين • ونصح ابن سينا عند بحثه مرض السرطان ، لاول مرة بوجوب استئصال جميع الاجزاء المصابة والاوعية المحيطة به كلها عند اجراء العملية • وقد تحدث الاطباء

المسلمون لاول مرة عند وصف عمليات الجمجمة واجزائها عن عملية اللهاة والنواسير الانفية . وقد اخترعوا طريقة لازالة اللوزتين واخراج السائل من طبلة الاذن ، ونصحوا في حالة سرطان اللسان استئصال اللسان بكامله . وفي حالة التهاب مخ العظام اقترحوا ازالة العظم المصاب . وكان الجراحون المسلمون هم اول من اجروا عملية غلاف الاحشاء المخاطي واستخدموا طريقة آلة تروكال وقصبة كانولا لاخراج المياه . وكان ان طبقت الطريقة نفسها في ما بعد على يد فولر وبوتن . وقد وصفها بهاء الدولة بالتفصيل .

فن الولادات

لم يصل الينا سوى النزر اليسير عن اليونان في صدد فن الولادات وكان العرب هم المخترعين الحقيقيين لهذا الفرع من فن الطب . وكان ابو القاسم الزهراوي اول من وصف في كتابه « كتاب التصريف » وضع الجنين . واخترع طريقة تكسير الجمجمة لتخليص الجنين الميت ، وقد اجرى بنفسه مثل هذه العملية . وقد صور كتاب « الآثار الباقية » الموجود في مكتبة ادنبره طبيبا عربيا وهو يقوم بعملية القيصرية .

اما المساهمات التي قام بها المسلمون باكتشافهم ادوية جديدة ووسائل علاجية فهي كثيرة في عددها وفي قيمتها . وقد خصص جرجي زيدان في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » (الجزء الثالث) فصلا كاملا لهذا الموضوع .

وكان الرازي اول من طبق عملية تبريد الراس في معالجة داء السقطة ، واستخدام الماء البارد في معالجة الحمى المحرقة (التيفوئيد) . وكان ابن سينا اول من اوصى باستخدام فرش الماء للمريض بالتيفوئيد . وكان ان طورت هذه الطريقة في مابعد بشكل انابيب ليتل ، واكياس الثلج التي تستخدم في ايامنا الحاضرة .

فن الصيدلة

اما في ما يتعلق بفن الصيدلة فقد قدم العرب خدمات قيمة ، فقد اكتشفوا الخواص الصيدلية لاصل الراوند والكافور والسنا . ومارسوا استخدام البنج في الطب . واستحضروا السكر واستخدموه في العسل ، وقد استعانوا بالاعشاب الهندية في علاجاتهم . واكتشفوا عددا من الاعشاب المفيدة التي لم تكن معروفة للاطباء اليونانيين . وقد اخترع الرازي مرهم الزئبق . وقد وضع اول كتاب عن الاعشاب اليونانية على يد ابن الموفق بالفارسية وعنوانه « كتاب الابنية عن حقائق الادوية » يحتوي على وصف ٥٨٥ عشبة فقط . وقد رفع بعده ابن البيطار في كتابه « المفردات » هذا العدد الى ١٤٠٠ . وكان علم الصيدلة متطورا جدا عند العرب . وقد الفوا جميع انواع الاشربة والمعاجين النباتية . وبدأوا باستخدام اقراص الطربفلات في المعالجات الطبية . وقد طبق العرب استخدام ورق الذهب والفضة عند لف الاقراص. وقد ادخل المسلمون لأول مرة طريقة دستور الأدوية (الاقرباذين) في العلم الطبي . وكان سابور بن سهل اول طبيب وضع دستور الادوية الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين .

فن الكيمياء

اولى العرب اهتماما كبيرا للكيمياء . وفي الحقيقة هم مؤسسوها الحقيقيون ، وفي هذا العلم كانوا اول من شرح طرق الترشيح والتصعيد ، والتقطير والتبلر والتذويب

بل اصلحوا عدة نظريات يونانية قديمة . وكان يعقوب بن اسحق الكندي من احسن من محصوا الكيمياء اليونانية وانتقدوها .

كتاب الأدوية

يعتبر «كتاب الادوية» الذي الفه دسقوريدوس دليلا كبيرا على اهتمام العرب بالابحاث وتشوقهم للمعرفة في الادوية ، ويعتقد ان هذا الكتاب قد ترجم لاول مرة على يد استيفن بن باسيل على عهد الخليفة المتوكل بمراجعة حنين بن اسحق .

نظام الطب ونظرياته

اكتشف الاطباء العرب وقائع عديدة ثبت انها حقيقية في الابحاث الجرثومية الحاضرة . وان كل ما يتعلق بالعناصر والأمزجة والاخلاط والطبائع فقد حصرت باربعة وظل حصرها قضية لا يختلف عليها أحد بين العرب . وقد شرح ابن سينا بان بعض الامور تتعلق بالنفسانيات بدلا من العلم الطبي ، ويتوقف الامر على الاطباء للتسليم بذلك او رفضه . وقد آمن الاطباء العرب بنظرية أن لكل شخص طبعه الخاص وهو يتأثر حسب ذلك . وقد

شرح ابن سينا هذه النظرية مفصلة . فقضية « الحساسية » في العصر الحاضر تقوم في الواقع على اساس هذه النظرية .

القوة الدفاعية

كان العرب عند معالجة احد المرضى يولون عناية خاصة للقوة الدفاعية عند الشخص . وكانوا يعتقدون عن حق ان الطبيب الحقيقي هو القوة الدفاعية الحقيقية للجسم ، وان مهمة الطبيب هي تقديم المساعدة لهذه القوة . وقد ايد ابن زهر الاندلسي هذه النظرية كل التأكيد .

وقد كان اهم عمل قام به العرب في علم الطب هو تنظيم الفروع المختلفة لهذا العلم .

الآثار الأصلية

لقد قيل ان اهم مساهمة قام بها العرب هي ترجمة الكتب اليونانية على عهد الامويين والعباسيين ، وفي رأيي ان اعمالهم الاصلية التي تشكل الآن جزءا من مكتبات روما وباريس وانجلترا وتركيا هي مساهمات حقيقية . فقد بدا العرب في تصنيف كتبهم الاصلية في مطلع العهد العباسي ، بينما كانت ترجمة الكتب اليونانية متقدمة في بغداد باشراف حنين بن اسحق . وكان مؤلفو هذه الكتب ينتمون في معظمهم الى مدرسة جنديسابور الفكرية . ومن ابرز هؤلاء المؤلفين سابور بن سهل وعيسى بن موسى ، ومن اهم كتب الاخير « كتاب من لا يحضره طبيب » . وهناك كتاب آخر لابن ماسويه هو « كتاب الحمية » المزود بالجداول والخرائط .

حرية التفكير

كان العرب مشهورين بصورة خاصة في حرية تفكيرهم وبنظامهم التعليمي العملي في علم الطب . وقد اعلن يوحنا بن ماسويه بصراحة في كتابه « النوادر الطبية » انه لا يريد ان يتبع المبادىء القديمة لاسلافه دون وضعها موضع التجربة في المعرفة والخبرة ، وان كل ما وجده مخالفا للتجربة والاختبار كان يرفضه .

الخلاصة لم يضع المسلمون فقط اسسا متينة لعلم الطب الحديث ، بل وضعوا ايضا بناء رائعا له . فهل نكون شرفاء ومنصفين اذا وصفنا هذه الفترة المجيدة في « العصور المظلمة » ؟

نيرواسطي

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

السائقات الفاتنات لسن شاعرات

الاستاذ على الجندى شاعر مقتدر على التعبير الذى يمزج روح المأثور من الشعر العربى بأصالة الشاعر واكتسابه ، فينتج من ذلك قول ممتع ساحر .

وهو شاعر رقيق مرهف الشعور ، لا تفوته دقائق الحس ، وتسترعيه المواقف الشعرية الموحية .

ومن هذا الصور الطريفة التى جرى على رسمها من واقع الحياة العصرية ، كهذه القصيدة التى القاها فى مهرجان الشعر بالاسكندرية .

وهو انسان صافى النفس الى حد يأسرك بصفائه فلا تملك – ان كنت من أهل الصفاء ، وانت كذلك – الا أن تكون له صديقا .

ولكنى ساضع كل هـذا فى جانب واضع معه المعانى الجميلة ، والغزل الرقيق المشتمل على بعض المبتكر ، والصياغة التى تطوع وتستأنس النافر المستوحش من الكلمات ، والطرافة التى تجمع بين القديم والجديد فى مثل اعرابه لكلمة « تونس » – (ماركة السيارة) – وطرف وقعها على الاسماع فى المهرجان – **ساضع كل ذلك فى جانب ، وانظر الى جانب آخر ، هو المنحى القصصى الذى نحاه فى القصيدة .**

قدم لها بهذه المقدمة النثرية :

« كنت أسير فى بعض ميادين القاهرة ذات صباح مبكر ، فكادت تصدمنى سيارة تسوقها فتاة ممن تسميهم الصحف (السائقات الفاتنات) وقد سلمت من الموت ، لكننى لم أسلم من الفزع ، فقد سقطت على الارض وانا مؤمن اننى أصبت اصابة بالغة . وكانت مجاملة رقيقة من السائقة الفاتنة أن تطل من شيارتها (التونس) الجديدة فتطمئن على ، وقد تغمدت ذنبها بالصفح الجميل تكرمة لهـا ، وبخاصة اننى عرفت انها تنظم الشعر وانها تروى لى بعض الأشعار » .

والقصيدة نفسها تقص علينا الواقع ، وان كان واقعا شعريا غير مجرد السرد النثرى ، فلم تكن ثمة حاجة الى المقدمة الا ما يقتضيه الوقوف أمام جمهور من آلاف الناس ذى مستويات مختلفة بعضها لايدرك الواقع من الشعر .

بدأ بسبعة أبيات أولها :

يا رقـة الحسن أين رقته
وأين اشفاقه ورأفته
لولا يد الله امسـكت يده
قضت على الغداة قسـوته

ويبسط فيها المعنى المبتكر الذى يتركز فى هذا البيت :

من نقل الحسن عن سجيته
فاصبحت قسوة سجيته

ثم يأخذ فى القص فيقول فى عبارة تردد مثلها فى القديم :

يامن رأى ما رأيت من عجب
تبقى بقاء الزمان جدته

ولكنه يتبع هذا بهذا الوصف الطريف :

سـيارة فوق متنها رشـا
تطغى على الناسـكين فتنته
يغنيه لو سار فى الظلام بها
عن نورهـا – ثغره وغرته

وسنعرف مما يأتى ، وعرفنا من المقدمة ، أن هذا « الرشا » فتاة شاعرة ، ولكن الشاعر يقول :

يسوقهـا سوق عابث مرح
فى فزع الراجلين لذته

ونرى أن العبث بالمارة والشعور باللذة فى فزعهم تفاهة لا تتفق مع الصفة الشاعرية ، من قول الشعر ورواية الاشعار عن الشعراء المجيدين من أمثـال شاعرنا .

وبعد ذلك يخاطب هذا الرشا السائق :

أخفتنى فانثنيت مرتعدا
تفـديك ممن أخفت مهجته
من ذا يغنيك يا مليح اذا
الموت بقيثـاره منيته
أنا الهزار الذى ملاحنه
تسبيحه ، والجمال أيكته

ويلى هذا ثمانية أبيـات فى الفخر ، بالشعر ، وبالعفة ، وبالنسب الى البيت النبوى الكريم ..

وهو يخاطب « الرشا » بذلك كله ، وبعده يقول :

قلت لها لاهنا اعاتبهـا
ومدمعى تسـتهل عبرته

والذى قاله لها هنا غزل أو قصيدة غزلية رقيقة أعقبت تلك القصيدة الفخرية .

والذى نتصوره فى موقف تصـدم فيـه سيارة رجلا ، فيقع على الارض ويبكى من الفزع – هو أن

يتجمع الناس ، وكل يقول كلمة ، ويأتي الشرطي ، ويطلب الاطلاع على (الرخصة) وما الى هـذا من الاجراءات ، فهل من متتقى هذه الحـال أن يقف الشاعر بين يدى السائقة الحسناء وينشدها فخرا وغزلا فى قصيدة من نحو عشرين بيتا ٠٠؟!

ومن تمام تصورنا للموقف أن تجزع الفتاة نفسها خوفا من المحاكمة والقصاص ، أو على الأقل حزنا على الشاعر الذى تروى شعره وتقدره ، وبخاصة أنها من اهل فنه ؛ ولكن الشاعر يقول لنا بعد انتهائه من التغزل فى حسنها وخوفه عليها من أن يقتص منها :

فهز زهو الجمال قامتهـا
كالغصن هبت عليه نسمته
واستضحكت والحياء يغمرها
وقد زهت فى الخدود حمرته
ورف در حواه مبسمها
تكاد تعشى العيـون ومضته

الى آخر غزل آخر ٠٠٠ وأخيرا نطقت :

تقول :

هـذا الذى نطقت بـه
شعر كسجع الحمام رنته

وبقية ما قالته « الشاعرة » للشاعر « المصدوم المفتخر المتغزل » ـ ان هذا الذى تحاول أن تخلبنى به شعر فيه تمويه لا يؤثر فينا :

أقصر فليس النسيب يفتننـا
ما كل قلب تصاد حبته
وان تكن شاعرا فان لنا
شعرا الى البـابلى نسبته

وقالت له بعد ذلك ان الجمال له قانونه «المعتلى» فهو « يميت من شاء كيف شاء » ، وختمت قولها بأنه يجب عليه أن يموت فى الغرام مثل « عروة » ٠٠!

ثم راحت « تستحث تونسها » ، أى سيارتها التى من « ماركة التونس » فوقف يستأنف الغزل بأبيات أخرى ٠

وهكذا نرى أن الصورة التى رسمها الشـاعر للرشا ٠٠ أو للسائقة الفاتنة ، تنطق بأنهـا فتاة تافهة لا يمكن أولا أن تكون شاعرة ولا تصلح لان تروى أشعار على الجندى ٠٠ ثم هى ثانيا غير جديرة بأن يفتتن بها شاعرنا الرقيق ٠٠

حكاية صديقى الاسود

وعلى عكس الاستـاذ على الجندى نرى الشاعر الشاب محمد الجبار ٠ لا يزال هذا الشاب يعانى التعبير الشـعرى مجتهدا ؛ يعمـل على تطويعه لنا فى احساسه من طاقة كبيرة وما لديه من ادراك سليم لمتتقى البنـاء القصصى فى القصـيدة ٠ وأتوقع منه انتـاجا أكثر نضجا وخاصة من ناحية الصياغة وعدم الاضطرار الى ما لا يحسن فيها ٠

ألقى محمد الجبار فى المهرجان قصيدته « حكاية صديقى الاسود » ، وتتلخص هذه الحكاية فى أن رجلا اسود مر بكوخ فرأى فيه فتى أبيض جريحا ، فضمد له جرحه ، فلمـا افاق الابيض من غشيته ورأى الاسود بجواره زجره وسبه ، وجعل الاسود يحدثه حديث الانسانية التى تجمعهما ، وقص عليه من شقائه قصة ابنته الطفلة التى قتلها رجل أبيض رآها تلعب مع ابنه ٠ ولكن الابيض لم يزدد الا ازدراء له ٠ وجاء جماعة من البيض فقتلوا الاسود ٠ ولم يورد الشاعر سببا لقتلهم اياه ، أو بتعبير أدق لم يهيىء جوا لهذه الجريمة ؛ فان مجرد محاولة علاج الجريح لا يصلح دافعـا الى القتل ، يصح أن يسخروا منه ويحتقروه ويطردوه ، أما قتله فلماذا ؟

وكذلك أربعة أبيات بعد هذه النهاية عن ثورتنا العربية ومقاومتهـا للتفرقة العنصرية ٠٠ **ويبدو من هذا التذييل ـ بعد اكتمال القصة ـ أنه متكلف ، وان كانت له فائدة من حيث استدرار التصفيق فى المهرجان ٠٠**

ومن رائع ما قاله الاستاذ الجبار فى هذه القصيدة هذه الابيات التى يحدث بها الاسود الابيض :

ربما نلتقى بقبر صغير
فاذا راحتـاك فى راحتيـه
فلمـاذا تريد صلحا بقبرى
ثم لا ترتضيه والنفس حيه
تلك مأساة عصرنا يارفيقى
نحن نرثى معا خطى المدنية
أحرام على جنى حصاد الارض
يامن تبيـع أرضى اليه
لو تشهيت لقمـة فى مكان
انت فيـه عز الرغيف عليه

وان كنا نلحظ فى البيت الثالث أن خطى المدنية فى غير موضعها ، اذ لا تعد منها التفرقة العنصرية ٠

وبقية ما آخذه على القصيدة فيما يلى :

يقول الاسود للابيض :

هل تراني استشرت أمى لما
كنت سرا مع الغيوب الخفية
ان لونى حداد ليـل طويل
من خطايا الورى وذنب البرية

هذا اقرار بان السواد عيب ، واعتذار منه . وكان شاعر الشعب ذو الربابة أكثر توفيقا ولباقة وهو يدافع عن سواد أبي زيد الهلالي بقوله :

« لولا سواد العين ما كان نورها »

فتح الابيض الجريح عيونا
مجفلات من أعين زنجية

لكل من الابيض والاسود عينان اثنتان فقط ، لا عيون ولا أعين ..

يقول عن الاسود :

وانحنى غاسلا جراح أخيه
بدموع بيض النوايا سخية

مسالة الدموع البيض النوايا مبالغة غير مقبولة ، ولاسيما اذا كانت « سخية » فحسب الرجل ان يضمد الجرح .

يقول الاسود للابيض :

يضمد الجرح .

ياأخى لاتخف فجرحى شقيق
وسنا الفجر يلتقى بالعشية

العشية آخر النهار أو أول الليل ، وسنا الفجر فى آخر الليل ، فكيف يلتقيان !

النقد محروم من جائزته

كان فى جوائز الدولة للآداب التى احتفل بتوزيعها فى عيد العلم هذا العام ـ كان فيها مكان خال ، هو مكان النقد الادبى .

فقد فاز بجائزة الدولة التقديرية الاستاذ الكبير محمود تيمور تتويجا له على جملة أعماله الادبية ، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية فى التأليف المسرحى الاستاذ على أحمد باكثير ، وفاز بجائزة الدولة التشجيعية فى التأليف للاطفال الاستاذ محمد سعيد العريان . وكان مقررا مع هذه الجوائز جائزة تشجيعية فى النقد الادبى ، وفحصت الكتب المقدمة لنيل هذه الجائزة ، وتمخض الفحص عن كتابين ، هما « المدخل الى النقد الادبى الحديث » للدكتور غنيمى هلال » و « النقد الادبى عند اليونان » للدكتور صقر خفاجة . وانقسم أعضاء لجنة الفحص الى فريقين كل منهما يناصر كتابا ، **والذى لوحظ أن المناصرة كانت تتجه الى شخص المؤلف من حيث علاقاته بالاعضاء أكثر من اتجاهها الى الكتاب نفسه :**

ومن الوسائل فى ذلك أن الفريق المناصر للدكتور صقر خفاجة كتب فى تقريره أن كتاب « النقد الادبى عند اليونان » امتداد لاهتمام الدكتور طه حسين بالادب اليونانى القديم وأن المؤلف جرى على مذهبه فى ذلك لانه من تلاميذه .. **والدكتور طه حسين هو مقرر اللجنة وهو الاستاذ الكبير الذين يدين له بالولاء والاستاذية عدد من أعضاء اللجنة .**

وكانت النتيجة أن الكتابين لم يظفر أيهما بالجائزة، لتعادل الاصوات ، أو لعدم بلوغ النصاب عند الاقتراع ، لا أذكر أى الامرين كان بالضبط ..

على أن هذه مقدمة لما أريد أن أقوله ، أوردتها لاهميتها فى الدلالة على ما يسود مثل هذه اللجان من الاعتبارات الشخصية التى يجب أن تسلط عليها الاضواء لكشفها ، عسى أن تختفى من حياتنا وخاصة فى مجال القيادة الفكرية .

أما الذى أريد أن أقوله بعد ، فهو انني الحظ أن هناك اختلاطا فى مفهوم النقد الادبى بين هذا النقد وبين الدراسات الادبية ، وقد أعطيت جائزة النقد فعلا فى المرات السابقة ، أو بالاحرى فى المرتين السابقتين، لكتابين فى الدراسات أحدهما للدكتور ابراهيم أنيس والآخر للدكتور عبد الحميد يونس . وهناك جائزة تمنح للدراسات فى دورها غير جائزة النقد ، **فتكون النتيجة أن الدراسات الادبية تأخذ الجائزتين ولا يأخذ النقد شيئا ..**

وهذان الكتابان اللذان وقع عليهما الاختيار لترجيح احدهما فى الحصول على جائزة النقد الادبى ، أحدهما وهو « المدخل الى النقد الادبى الحديث » انما هو دراسة للنقد المعاصر وتقرير لنظرياته ، والآخر وهو « النقد الادبى عند اليونان » انما هو دراسة تاريخية للنقد عند اليونان ، **أى أن كلا منهما دراسة للنقد لا نقد .**

وسيقال : ان دراسة النقد داخلة فى النقد ، وأسأل: هل دراسة الشعر مثلا تعد شعرا .. وتصلح لنيل جائزة الشعر ؟! وكذلك يقال بالنسبة للقصة وباقى فروع الادب .

فاذا كانت دراسة الشعر أو القصة ليست شعرا ولا قصة ، فكيف تكون دراسة النقد نقدا ؟

انى أقترح على لجان المجلس الاعلى للفنون والآداب المختصة ، أن تضع حدا بين مفهوم الدراسة الادبية ومفهوم النقد الادبى . وأعتقد أن الاجدى على حياتنا الادبية أن يوجه الاهتمام بصفة خاصة الى النقد الادبى التطبيقى الذى يتناول أدبنا ـ وأخص أدبنا ـ بالتتبع والتقييم ، لان هذه الناحية فى حياتنا الادبية يعتورها النقص وتسودها الاهواء والجهالات .

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

مع الفكر القانوني الاسلامي

ان كل دراسة عن أصول الشريعة أو تراث الفقه الاسلامي ، لها عمقها في البحث ، وأصالتها في التفكير السليم ، من حقها أن تجتذبنا ، وتشدنا اليها، وتفرض علينا أن نمنحها جزءا كبيرا من فراغنا وما أكثر ما ألف الكتاب الاسلاميون المحدثون في هذا الميدان من مؤلفات ضخمة تفوق الحصر ، مترسمين خطى تراث سلفنا من فقهاء المسلمين ومفكريهم ، ولا شك أن المؤلفين المعاصرين قد أدوا خدمات جليلة لتراثنا ، وكانت مهمتهم شاقة مضنية ، فهذا التراث ظل أمدا بعيدا كالمادة الخام في حاجة الى تصنيعها وكالمال المكنوز في حاجة الى تشغيله ، والى أوائل هذا القرن كان تراث الفقه الاسلامي منزويا في ركن ضيق الى أبعد حدود الضيق ، اذ كان وقفا في دراسته وتدريسه على أروقة الأزهر . والجامعات الدينية الاخرى في الهند وشمالي افريقيا ، وعلى أفراد معدودين في كل بلد اسلامي دأبوا على البحث والتحصيل فنشأوا تلامذة لهم وأعدوا روادا صاروا في الطليعة فيما بعد .

ان كتابنا ومفكرينا المعاصرين لم تكن مهمتهم قاصرة - فحسب - على تحريك تراثنا من الفقه وأصول الشريعة وبعث الحياة فيه ، بل عقدوا دراسات مقارنة بينه وبين غيره من شتى الشرائع وعلى رأسها شريعة الرومان ، واستطاعوا بذلك أن يضعوا تراثنا في المكان اللائق به .

فاذا وقع بين أيدينا اليوم كتاب يتناول أصول الشريعة وتراث الفقه الاسلامي ، ومؤلفه ممن نثق في علمهم وسعة أفقهم ، وقدرتهم على النظر والبحث واحتمال طاقتهم على التعمق والتدقيق ، كان من حقنا أن ننتظر منهم شيئا جديدا على الأقل ، وهذا الجديد اما أن يكون تناولا لجانب لم يطرق كثيرا من قبل ، أو القاء أضواء على مفاهيم لم تمحص بعد

هذه مجرد خواطر جالت بذهني وأنا أتهيأ لقراءة كتاب جديد يقع في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة لأخي **الاستاذ فتحي عثمان** عن : **(الفكر القانوني الاسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه)**

والمؤلف معروف لقراء الرسالة وقراء المجلات الاسلامية الواعية ، ومعروف بمؤلفاته العديدة التي سبق أن زود بها المكتبة الاسلامية والعربية ، وفي مقدمة هذه المؤلفات : **أضواء على التاريخ الاسلامي ، الدين للواقع ، الفكر الاسلامي والتطور ، آراء تقدمية من تراث الفقه الاسلامي ، الدين في موقف الدفاع .**

الاستاذ فتحي عثمان اتجه في أبحاثه وفي مترجماته الى الفكر الاسلامي ، على الرغم من أنه قد تخرج في كليتي الآداب والحقوق ، وقد استطاع بما ألف وكتب أن يثبت وجوده ، وهذا اتجاه طيب له تقديره ، **فما أحوج الفكر الاسلامي** ، الى مستنيرين تأثروا بالثقافة المدنية - وأفادوا عن **طريقها الثقافة الاسلامية ولا سيما اذا كانوا على صلة - لا تنقطع -** بالثقافة الغربية **قديمها وحديثها** ، والحق أننا نحس ونحن نقرأ للأستاذ فتحي عثمان - بسعة اطلاعه على انتاج الفكر الغربي ، وبعمق تفكيره في تناوله لتراث الفكر الاسلامي .

ان من حق قراء الرسالة علينا أن نعرض عرضا سريعا لموضوعات هذا الكتاب الجديد الذي نشرته مكتبة وهبه - بعابدين - قبل أن نناقش مدى ارتباطه بالجديد الذي نبتغيه من أي من الكتب الجديدة التي تتناول أصول الشريعة وتراث الفقه الاسلامي .

المؤلف قدم لدراسته في أربع وثلاثين صفحة ، وذكر في تقديمه : **أن رسالات الله جميعها هدفت الى اقامة العدل ، وأن العقيدة في الله جاءت أساسا لاحقاق الحق واقامة العدل ، وأن شرائع الله جاءت أيضا تقيم الحق وتجري العدل بين الناس ، وتوافق ظروف الناس الزمانية والمكانية ومطالبهم في تلك الظروف** ، وبعد أن انتهى الوحي لم يبق مجال للنسخ ، ولكن الاسلام لم يترك الناس لمرونة الأصول والنصوص فحسب ، بل فتح لهم نافذة تبيح للعقل البشري مزيدا من الحرية ، جاء هذا الفتح في نظرية **(الضرورات تبيح المحظورات)** مع تقديرها بقدرها ، وفي قاعدة **(تغيير الاحكام بتغير الازمان)** .

ثم انقسم الكتاب بعد ذلك الى اقسام ثلاثة : شريعة الاسلام : فلسفة وأصول في زهاء سبعين صفحة ، ومن تراث الفقه الاسلامي في مائة وخمس وعشرين صفحة ، وأخيرا : المستقبل الرشيد في أربعين صفحة .

في القسم الاول : **(شريعة الاسلام : فلسفة وأصول)** تناول خصائص ومميزات الشريعة ، ومنها : الربانية ، الشمولة والمرونة . الأحكام

المجملة ، النصوص المرتبة ، والاجتهاد بالرأى ثم المشـــورة وناقش أسـباب الاختلاف التى تعم القرآن والسنة ، والتى تعم السنة وحدها : كما تناول فى هذا القسم الاول من كتاب مصـــادر وقواعـد التشريع ، والقى أضـــواء بمثابة دراسة مقارنة بين شريعتنا والفقه الرومانى .

وفى القسم الثانى وهو أكبر الاقســـام الثلاثة وأوسعها : (**من تراث الفقه الاســلامى**) تناول السياسة الشرعية ـ القانون العام : الدســتورى والادارى ، فعرض لسلطات الحكم ، الخلافة ، أهـل الحل والعقد ، وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ، أجهزة الادارة ، الحكم المحلى ، التشريع المالى وغير ذلك . كما تناول القصـــاص والحدود التعزير ويجمعهـا (القانون الجنائى) وتناول المعاملات أو (القانون المدنى والقانون التجارى) وتناول الأحوال الشخصية وأصول القضـــاء أو (المرافعات المدنية والتجارية والاجراءات الجنائية) .

وفى القسم الثالث والاخير : (المستقبل الرشيد) اعتمد على فصلين من كتابه (الفكر الاســلامى والتطور) فدعا الى فقه متطور لمجتمعاتنا المعاصرة ، حيث كتب دراسة مركزة ، ذكر **أنه يعرض فى بحثه هـذا لتطوير الفقـه الاسلامى ، وهو الفهم البشرى للشريعة ، والفهم متطور بطبعــه ، يتأثر بظروفه وامكانياته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فمنها نصوص محكمة ثابتة محددة ، لكن يحتفظ العقل ازاءها بمجاله فى الفهم والتطبيق ومنها قواعد كلية تتعاقب عقول الافراد والاجيال على فهمها واعمالها فى الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .**

واشار المؤلف الى التعثر الذى صادفته الثقافـــة العصرية ، وجزء كبير من أسباب هذا التعثر راجع الى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحيتهم وتحيزهم ـ ازاء هذا التعثر أتيحت الفرصة لكى يعود الناس الى مناقشة قضية الدين ، والفكر الدينى ، ما دام دعاة الانصراف عن الدين لم يأتوا بالبديل السعيد المرغوب ، ووجد دعاة الدين آذانا مصـغية وقلوبا مهيئة لاستماع دعوتهم فى الرجوع الى الله ، فاقبلوا يعرضون الاسلام بما يوافق طابع العصر الفكرى والعلمى .

بعد أن أشار الى هذا عرض لقضية بعض المتحمسين الذين أتوا بخلاصة ما انتهى اليه الفكر الغربى ـ نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبــه ـ ليضعوها تحت عنوانات ولافتات اسلامية تنتزع من آيات الله أو أحاديث رسوله المتداولة ، وهذه قضية على جانب من الخطورة ـ بالطبع ـ مسها الاســتاذ فتحى مسة خفيفة ـ وقد كانت فى حاجة الى تفنيد ، وأية خطورة أكبر من محاولة اخضاع نصوص الاسلام لتواكب مفاهيم غربية لها ظروفها وبيئاتها ؟

ودعا المؤلف فى نهاية القسم الى أن نصنع فقهنا ، واشار الى : **أن أعلام الفقـه الاسـلامى لم يعيشـوا فى قيود الحروف التى وردت بها النصوص ، وانما عاشوا مع النصوص فى واقع اجتماعى وفكرى يفيض بالحياة والنماء .**

***

وبعد ـ فهذا عرض سريع لكتاب الاستاذ فتحى عثمان : (الفكر القانونى الاسلامى بين أصـول الشريعة وتراث الفقـه) فهل أتى المؤلف بجديد له معالمه الواضحة ، وما أثار من أفكار وما تناول من مفاهيم فقد استوعبتها كتب التراث بالتفصيل ، وما عرض له أحيانا من مقارنات فقد تضمنتها دراسات فقهاء معاصرين ، اســلاميين وقانونيين ، ولو قـدر للأســـتاذ فتحى عثمان أن يعرض لاحدى نظريات الفقه الاسلامى ، ويستوعبها دراسة . ويحيط بهـا احاطة شاملة ، لكان من حقه أن يستلهم تراثنـــا ودراســـاتنا المعاصرة ، وما يؤخذ على المؤلف بعض الأحيان اسرافه فى النقل ، حتى ليستوعب نقل جزء من النص بضع صفحات ، وأرى أن نقل النصوص مستساغ اذا كان فى مجال ازالة شبهة أو دحض فرية ، أما اذا كان فى مجال تجميع الآراء فى المعنى الواحد فاجمال المقصود يغنى .

ان المؤلف ذكر فى آخر تقديمه للكتاب: أن الكتاب اجمال لجوانب هذا الموضوع الهام ، وهو ان استطاع أن يجتذب قارئا الى أمهات مراجع الفقه الاســـلامى من أمثـال : الأم للشـافعى والخراج لابى يوسـف ، والمبســوط للسرخسى ، والمدونة لسحنون والمحلى لابن حزم ، والموافقات للشاطبى ، والاحكام السلطانية للماوردى والمغنى لابن قدامة ..

وان استطاع الكتاب ان ينشر حول شريعة الاسلام نورا من المعرفة وآصرة من الود .. فقد لقى نجاحا يحمد صاحبه ربه على التوفيق اليه .

والحق أن المهم فى الكتاب هو ما أشار اليه المؤلف فى نهاية تقديمه ، فقد شدنا الى تراثنا الاسلامى العريق ، وأكبر فى نظرنا قيمة الفقه الاســـلامى ودوره فى صياغة الحياة فى كل زمان ومكان .

اما مادة الدراسة نفسها ، وما تناولتها من قضايا فقهية ، فلنا وقفات أرجو أن يتسع لها الوقت قريبا للمناقشة القائمة على الرأى الواضح والحجة القاطعة .

محمد عبدالله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحي

الفيلم والجمهور

تاليف : روجر ما نفل

ترجمة : برلنتى منصور

يقدم لنا المؤلف فى هذا البحث دراسة قيمة عن السينما وتطورها منذ ان بدأت بالفيلم الصامت الى ان أصبحت بهذه القوة والشعبية والعالمية ... وفى مجال تقديمه للافلام الصامتة أشاد بجهود المؤسسين الاوائل لهذا الفن أمثال د . و . جريفث وتشارلى تشابلن ـ وتوماس انس ـ وماك سنيت ـ وابل جانس ـ ويرى المؤلف **ان افلام هؤلاء الاعلام السينمائية الأوائل اذا ما قدر لها ان تقاوم الفترة العصيبة الحالية التى نمثلها نحن . فان مآلها فى الغالب سيكون أسهل لدى الأجيال القادمة لأنها ستحتل لديهم قيما تاريخية بجانب القيم الفنية .**

وذلك رغم ان عالم الفيلم الصامت كان عالما مزدوجا ـ وكان بعيدا عن عالمنا فى صمته ، وفى نفس الوقت موحيا بالعالم الحقيقى دون أن يتصل به اتصالا مباشرا ـ وذلك لانعدام الصوت ـ وان ظلال التصوير الجميلة لافلام الابيض .. الأسود .. او" الانتماء لعالم مغاير لعالمنا عن طريق الفيلم ذى اللون الواحد ـ كل هذا زاد من بعد الفيلم الصامت عن الواقعية ـ ولقد كانت معظم هذه الافلام تافهة رخيصة ـ وميلودراماتيكية الا انها فى احسن صورها كانت فتحا جديدا فى طريق سرد القصة الروائية مما جعلها بشيرا بفن شعرى غنى ..

ولقد حقق الفيلم الصامت فى الفترة ما بين « مولد امة » سنة ١٩١٥ والأرض سنة ١٩٣٠ درجة كبيرة من النضج تميز به وكان جزءا من هذا كامنا فيه فانتهى معه . بينما صار الجزء الآخر تراثا للفيلم الناطق ولقد كانت الخاصية الاساسية له ـ كما شاهدنا ، تصوير ـ بلا كلمات ـ لعالم آخر غير عالمنا ، يترك ـ كما يفعل الباليه ـ الشيء الكثير لخيال الجمهور ـ وهذا القناع من الغموض الصامت مزقه دون رحمة مقدم الصوت الفج ففر الآلهة الصامتون من المعبد حيث عبدهم العابدون ، لان القلة منهم هى التى تمكنت من أن تنطق بكلمة واحدة من غير أن تقضى على الوهم الجميل .. **وقد اخرج الصوت ـ الفيلم من عالم الظلمة فى صمته الاول الى ميدان مفتوح من العرض المباشر للواقعية ـ فاذا كان الفيلم الصامت فرعاً من الفن التمثيلى يهتم اهتماماً كليا بالفكر الانسانى وبالعاطفة والحركة ـ فقد عاقه اضطراره الى الاعتماد على حاسة واحدة وكان كل ما لا يمكن تحقيقه فى شكل صورة مرئية يجب قراءته حديثا مطبوعا على الفيلم ـ الامر الذى ثبت انه عملية جد بطيئة لا تتناسب فى سرعتها وسرعة الفهم والادراك الطبيعيين لدى الانسان .**
اما العواطف الكامنة وراء المناظر المختلفة فقد كان لابد من التعبير عنها بالموسيقى التى يعزفها بحيوية عازفو بيانو عديدون او فرق موسيقية مختلفة القدرة والمهارة ـ ولقد كان واضحا منذ البداية ان الفيلم باعتباره فرعا من الفن التمثيلى فى حاجة الى وسائله الخاصة به فى انتاج الصوت ولا سيما بالنسبة للحوار ـ ، فلم يكن من الميسور لهذا الفرع الجديد ان يقف فى مرتبة واحدة مع التمثيل المسرحى الحى الا بهذا وعلى الرغم من أن تعبيرات الوجه وحركات الجسم يمكن ان تعرب عن الكثير فان اكثر

وسائل الانسان مرونة فى التعبير هى الكلمات ..
وفى مجال المقارنة بين السينما والمسرح يرى المؤلف أن على ممثل السينما ان ينمى لنفسه موهبة جديدة لايعرفها المسرح ابدا ـ وهى احساس مرهف دقيق بالمسافات ـ فاذا كان وجهه على ارتفاع اثنا عشر قدما على الشاشة مثلا ـ فيجب ان يتمكن من التعبير عن افكاره فى دقة ليس لها اى اعتبار على المسرح ـ كما يجب ان تكون هذه الافكار صادقة بالنسبة الشخصية التى تلعب دورها ـ وليس عليه **ان يعبر عن الحقيقة فحسب ـ بل يجب أن يكون** متأكدا من أن دوره يبدو وكأنه حقيقة ـ والا فان مكتشفى الكذب الماكرين وهما الكاميرا والميكرفون لا بد وان يشيا به .

والمسألة مسألة اسلوب ـ والأسلوب يحكمه التعبير لدرجة بعيدة ـ وان اهم شيء فوق خشبة المسرح هو الصوت ـ اما فى استديو السينما فهو العين ، وان التحول من الاهتمام بالصوت الى العين ربما كان اكبر .

والاختلافات الفنية كلها ما بين التمثيل المسرحى والتمثيل السينمائى وفى مجال الانتاج العالمى للسينما يرى المؤلف ان اهم مايلفت النظر فى مختلف الخلافات العالمية الأفلام السينمائية هو الاتجاه الى تصوير الحب ـ ولا شك فى ان جميع البشر يعترفون بضرورة الحب ـ بيد ان معظم الدول تميل الى الاعتقاد بان اتجاه الدول الأخرى الى الحب يتعارض مع اتجاهها هى ـ وهى جميعا تنتج افلاما عن الحب ـ باستثناء المناطق التى تكون فيها قيود التقاليد الاجتماعية والرقابة الشديدة ـ كما فى الأفلام الهندية ـ بحيث تحل الاكاذيب الطريفة مكان الحقائق عن العلاقة بين الرجل والمراة ـ ومن ثم فان كل دولة تسهم بخبرتها بأكثر التجارب الانسانية عمقا وهى عالمة بذلك احيانا وجاهلة له احيانا اخرى ولقد انقضت خمسون سنة ـ تم خلالها جعل الفيلم العادى وسيلة قوية معبرة ـ ولقد اصبح التصوير سواء بالأبيض والاسود او بالالوان رائعا ، كما أصبحت له ميزة كثيرا ما توحى الراى بالعمق الكبير ـ بيد ان التركيز الدراماتيكى للفيلم ، وقوته الحتمية كوسيلة درامية ـ سيظلان كامنين فى طريقة شبك الصورة بالصورة فى عملية المونتاج الهامة ، مما يجتذب المتفرج الى الاتصال الوثيق من الناحيتين الجسمانية والروحية بأبطال الرواية ـ فان عملية المونتاج هى اساس الفن السينمائى كما عرفناه مقترنا باختيار الاصوات وتركيزها ـ اى بالتلاعب الضيق بالكلمات والاصوات الطبيعية والموسيقى بينما يزيد الاطار الضيق المحدود للشاشة العادية من حدة الأحساس مما يهيىء للمخرج السيطرة التامة على كل تفضيل يجب ان يشعر به الجمهور .

وان مهمة السينما هى الترفيه عن طريق التسلية ـ وهذا الترفيه يجب ان يخلق شيئا جديدا ، ويجب ان يكون له نزعة انسانية تبعث الحياة فى العواطف وتوقظ القلب من سباته كما يجب ان يقوى من توقف المرء ازاء الحياة وان يوسع من مدى انسانيته . وعلى اقل تقدير ان يكون وسيلة جيدة لتمضية الوقت .

وعلى احسن تقدير يجب أن يكون تجربة رائعة تبقى مع الأيام . ويجب ان يمكن هذا الترفيه الناس من أن يغادروا دور العرض الى منازلهم **وهم يشعرون بسرور وقد جاشت عواطفهم ـ ويجب ان يدمج الشخص فى قصته سواء كانت جدية خفيفة أو هزلية ـ مثيرة او مضحكة ـ ميلودراما او تراجيدية ، ويجب ان يكون الاندماج تجربة تعيد ـ الى حدود مختلفة ـ تغيير تركيب تربة الشخص ـ وتسمح بخلق جديدة .**

ويجب التسليم بان هنالك من انواع التسلية التى تقدمها دور السينما ما يهبط بالروح المعنوية للشخص بدلا من ان يرفعها . وما يسبب الضعف بدلا من القوة ـ والهزال العاطفى بدلا من الاثارة ـ وهنا يساء استغلال العاطفة وتمتهن العقول فى قلة من المظاهر العصبية التى لا ترضى الا احط انواع الذكاء ، وهو ما لم تعد تستسيغه السينما اليوم او فى المستقبل .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

دمعة وفاء

على فقيد العلم والرسالة « فوزى الشتوى »

بلغت من العلم حظا رفيعا
وجست بعلمك ظهر القمر

ودرت مع الشمس انى تدور
وعدت ولم تلق ادنى ضرر

وخاطبت فى الناس حر العقول
واظهرت للناس وجه العبر

رايتك « فوزى » امير العلوم
وغيثا تجمع ثم انهمر

ملأت الصحائف بالمعجزات
يؤيد قولك شافى الصور

وتسهب فى الشرح حتى تبين
وحتى توضح سر الفكر

فاشرق للعين رسم بديع
كنور الصباح اذا ما انتشر

عشقنا لاجلك روض العلوم
ونلنا بجهدك حلو الثمر

رصدنا « الرسالة » عند الطلوع
كروض ترصد صوب المطر

فكيف وانت علوت الطباق
تطيق البعاد ويصفو الكدر ؟

رحلت ؛ فحلت هموم الفراق
وكاد الفؤاد اسى ينفطر

واجدبت الروض بعد الرحيل
وناحت عليك فروع الشجر

عرفتك « شتوى » كثير الأناة
رضي السمات حميد الاثر

وكنت لصحبك نعم الرفيق
وكنت لاهلك نعم الابر

وجددت للناس عهد السداد
وعهد الرشاد وبعد النظر

كانك « جابر » يزجى الدواء
ويرسي الشفاء ويمحو الضرر

كانك « موسى » واولاده
احاطوا بكل جليل الخطر

عجبت لعقلك بين العقول
وانت بزاهى الشباب النضر

وغبت فغاب السراج المنير
وكادت تذوب قلوب البشر

ففى الخلد مثوى الحجا والرشاد
ونعم الجزاء ونعم المقر

محمود شاور ربيع
المدرس بكلية دي لاسال

رد على نقد

ولا تقربوا الصلاة ... ! فويل للمصلين ... !

هكذا كان نقد الاستاذ العوضى لقصيدتى التى أختيرت لمهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية وهى عن التفرقة العنصرية نقدا أبتر وهاكم الدليل :

١ ــ قال الناقد : « وشاعرنا يخونه التعبير أحيانا » .

واقول : « أين الشواهد ؟

٢ ــ وقال : « وتدعوه القافية الى مالا يستحب من القول كتشبيه الرجل الاسود بالفلفل الاسود » .

واقول : « ان ذكر الفلفل الاسود جاء تعمدا للاضحاك فالاسود بعد أن دافع عن نفسه دفاعا جدليا قاسيا أراد أن يخفف من وقع هذه القسوة فقال يمازح الابيض :

أخي خذ « نكتة » بيضاء تضحكنا لكى نسعد .

وتنعش صفوناكم .. طال نوم الصفو بالمرقد

اقتطـــار من الملـــح

كاقة فلفل أســـود ؟

أخي اضحك لا تكن صخرا

وقبلني ولا تجمـــد ..

فليس في الامر سوى « نكتة » مقصودة لتلطيف الجو فحسب ..

٣ ـ وقال : « ثم يبلغ التعبير غايته من الاسفاف حين يهتف الشاعر :

فسبحان الذى أنشأ وسبحان الذى أوجد

وأقول : « اترك هذا القول المؤمن الساذج الذى خرج من قلب أبيض لرجل أسود اترك هذا القول لعدالة القارىء ليبحث فيه عن هذا الاسفاف المزعوم .

٤ ـ وقال : « في أكثر من أربعين بيتا ردد الشـــاعر معنى واحد وفكرة واحدة واذن فان هذا القصيد الطويل يغنى عنه بيت واحد » .

وأقول : « الله . الله أمعقول هذا ؟ وأين هذا « البيت » السحرى ؟ الديك يا سيدى هذا البيت الجامع المانع وأين كانت لجنة الشعر التى اجازت هذه القصيدة ، القصيدة مبنية على الجدل المنطقى وتتناول الموضوع فى وضوح لا لبس فيه كما قال السيد الناقد وبداهة ان الاسود الذى يدافع عن نفسه سيلجأ الى ضرب الأمثال المختلفة لاقنـــاع خصمه .

٥ ـ ويقول الناقد : « ان الشاعر يترسم خطى ايليا أبى ماضى » يقصد قصيدته «الطين» .

وأقول : لا ترســم هناك فكل مافى الامــر أن القصيدتين تتناولان فكرة متشابهة وتقوم على الجدل المنطقى .

وأخيرا ... أقول للاستاذ « الوكيل » حسبنا الله ونعم الوكيل وأذكره أن يتم الآية والسلام .

محجوب محمد موسى محجوب
اسكندرية ـ القبارى

الى الاخ السيد مرسى منصور :

بعثت الى الرسالة برسالة مطولة كنا نود أن تنشر لولا ضيق صفحات البريد ، وهى بحق صادرة عن نفس طيبة وتفكير ســليم ، وتقديركم للرسالة وأستاذنا الزيات وكتاب الرسالة نشكركم عليه ، نسأل الله أن تكون دائما عند حسن ظنكم بها .

لقد عتبتم علي فى أسلوب رقيق فأوردتم بعض عبارات من مقالين سابقين لى ، فى الاول : « مما لا ريب فيه أن النقد من مقومات الانتاج الفكرى أيا كان لونه واتجاهه ، فليس هناك عقل معصوم من الخطأ ، ولا مفكر يزعم أنه فوق النقد ، فاذا لابس النقد طائف من العاصفة ، أو جانب من الهوى فقد قيمته وأخطأ سبيله » وفى الآخر رد على من نقدوا مقالى (الرسول غنى عن هذا الاســفاف) : لم يرزأ الدين بمثل هؤلاء الذين لازالوا يمنحون أنفسهم القوامة عليه فيحملون على أكتافهم هراوات غليظة يتعقبون بها كل من لا تتفق عقليته وعقلياتهم فى جمودها ، ويطاردون بها كل من لا ينزل بتفكيره الى مستوى تفكيرهم فى ضيق أفقه .. مثـل هؤلاء نفايات تنسب نفسها الى الاسلام زورا .. الخ » ثم عقبت بقولك : قل لى بربك ، كيف نؤمن لمثل هؤلاء أن يكونوا قادة لنا فى الفكر وأساتذة فى السلوك ، وأنت تراهم على مثل هذا الحال الذى يثير الحليم، لا يملكون أنفسهم وقت الغضب وينسون ما يكتبون بعد أسبوع واحد ..

كنت يا أخي أود أن تقرأ وتسمع ما كتبه أولئك الذين كتبوا أو خطبوا ردا على مقالى : « الرسول غنى عن هــذا الاسفاف » لتدرك أنهم لم ينقدوا الموضوع بالمرة ، انهم ـ فقط ـ كالوا ألوانا من الشتائم والسباب ، وأكداسا من الاتهامات بالزندقة والكفر والالحاد ، ومثل هؤلاء لو أسعفتهم ثقافتهم أن ينتقدوا نقدا موضوعيا لرحبت به ووضعت آراءهم مهما كان خطلها فوق راسى ، وأنا لم أوجه المقال الى واحد منهم أو اثنين وانما الى كل من يثيرون الغوغاء باسم الدين .

وبعد .. فأرجوا أن أكون عند حسن ظن أخى بعد هذا التوضيح والسلام ..

محمد عبد الله السمان

سنوات الرسالة القديمة

● لازال كثير من قراء الرسالة يبعثون برسائلهم مستفسرين عن سنوات الرسالة القديمة وأثمانها ، ونحن نفيد بأن الموجود من هذه السنوات ، العشر الاخيرة من ١٩٤٢ ـ ١٩٥٢ ، وثمن السنة مجلدة هو جنيهان مصريان .

قصة العدد

هو وابنته

بقلم الاستاذ حبيب الزحلاوى

قال لى بعد أن تعارفنا • ان الركون الى القهوة ، واعتياد تدخين النارجيلة ، والجلوس ساعة أو اكثر من ساعة فى التطلع الى احتراق الطبـــاق ، وتقلب المياه فى عنق الزجاجة ، واختناق الدخان يتكاثف ثم يتبدد ، ان جلوسى فى القهوة أتطلع الى وجوه الناس وكأنى اراهم اشباحا تتراءى امامي، انما هو ياصديقى هرب من البيت ، وعلى وجه التحديد هرب من الزوجة المناكفة التى يطيب لها اشعال ثورة تشوينى بنارها، لان أولادى شياطين مثل أبيهم ، ولان طباعهم ـ بنين وبنات ـ كطباعى أنا فى اتيان الامر ثم الهرب منه ، والتنصل من تبعته ، وترك المسئولية عن تربيـــة الاولاد على كاهلها ، وحدها ، هذا هو سبب هروبى من البيت وليـــاذى بهذا المقهى وقد أسعدنى الحظ بالتعرف على رجل كريم مثلك ، واسع الصدر ، حلو الحديث ، هادىء الطباع ، فهل سبب مجيئك كل ليلة الى هنا تقضى اكثر من ساعتين فى هذا الركن بالذات هو ان طباع زوجتك تماثل طباع زوجتى ، وقد ذكرت لك الأقل القليل من نكفها وشجارها ولسانها ؟

قلت لهذا الصديق ـ صديق القهوة ـ الذى طرح فى البدء على صداقته وقد أنست فيه الطيبـــة ، ورضيت عن بساطته ، وصرت اطارحه الحديث الذى يلائم معرفته للحياة : قلت له ان بعض الخلائق التى ذكرتها عن السيدة زوجتك هى فضلا عن أنها أصيلة فى طباع النساء ـ الا أن زوجتى تمتاز عن بنـــات جنسها بالعناد ، فعناد زوجتى هو الذى جعلنى أنفر من البيت الذى أحبه ، ومن الزوجة التى احبها ومن اولادى الذين أحبهم • الا أن مسألة نفورى من بيتى ولياذى بهــذه القهوة بالذات ، وتعـــودى تدخين النارجيلة ، واضاعة ساعة أو ساعتين كل ليلة تذهب من العمر بدون فائدة انما يعود الى أمر واحد ، هو أن زوجتى تريد ما لا أريده أنا ، ولا تفعل الا ماتريده هى ، وكثيرا ما كانت تعود الى نادمة على عدم عملها برأيى ولكن بعد فوات • وغالبـــا ما كانت تستأنس برأيى حتى لا تأخذ به ارضاء لعنادها !

ليت الأمر ياصاحبى وقف عند حد ارضاء عنادها وقد كنت اداويه بدواء شاف يعرفه الزوج فى زوجته، ولكن هذا العناد استشرى وتفاقم بانتقاله الى اولادى بالعدوى من أمهم ، وقد عجزت طبعا عن مداوات عناد اولادى •

ضـــحك وضـــحكت لهذين الاعترافين الدالين على الوجيعة والألم ، بل ضحكت من نفسى كيف أفضى ـ وأنا الكتوم ـ بأسرار يجب أن تدفن فى الصدر وينهال فوقها السكوت حتى لاتفوح رائحتها المزعجة ، ولكن الوجع يوجب الأنين ، وان تشـــاكينا نحن الصديقين التى تقوم صداقتنا على معرفة عابرة ، انما هو أنة وجع لا يواريهـــا عن أسماع الناس سوى الانفراد بالذات والتحدث اليهـــا خـــلال تدخين النارجيلة •

سألته هل آراء كبار أولادك مستمدة من تعـــاليم أمهم ؟ فأجاب :

قلت لك يا صاحبى ان زوجتى كزوجتك لا تأخذ برأيى أبدا وفى الحقيقة خجلت أن أقول بعبارة واضحة انها هى ربة البيت الآمرة ، وان الواجب على الزوج ، أعنى أنا ، تنفيذ الاوامر بغير اعتراض ، وأن الاولاد أخذوا عن أمهم طريقتها فى فرض الرأى ، والتشبث فى التنفيذ مثال ذلك •

جاءت ابنتى الكبرى تقول انها عزمت على الاشتغال فى مؤسسة حكوميـــة ، وأن الطلب الذى قدمته قد قبل ، والامتحان الذى اجتازته بنجاح هيألها مركزا ملحوظا فى المؤسســة ، وانها بدأت فى العمل منـــذ أول الشهر •

قلت لابنتى انى أنفقت المال فى سبيل تعليمك لتكونى فى المستقبل سيدة تعرف كيف تصير نفسها زوجة وربة بيت وأما لأولادها تعيش فى كنف رجل، لا أن تكون عاملة يفقدها عملهـــا طبيعتها النسوية ، خصوصا وأن كسبى المال من عملى يفيض على المطلوب، وان المدخر منه لك ولكل واحـــد من اخوتك يكفى للاستعانة به على شق طريقه بعد وفاتى •

ضحكت ابنتى من ضحالة تفكيرى وسذاجة رأيى وقالت ، لقد كان الصواب فى جانب أمى حين أوصتنى بكتمان الخبر عنك لانك مولع فى وضـــع العراقيل ، ولكنى أقول الآن ان تعيينى قد تم من أربعة شهور ، وانى أجد الراحة فى عملى والرضى عنه • وانى فى الحقيقة قد جئت لاقول لك انى وعدت شابا عرفتـــه بالزواج، وانه سيحضر اليك، طبقا للتقاليد، يطلبنى منك •

قلت كالملسوع : وعدت شابا بالزواج دون علمى وتقـــولين أنه سيحضر ليطلبك منى ••• ولـــكن هل استشرت أمك ؟

قالت ليس أمر استشارة والدتي بالمهم • بل الاهم هو تصميم الشاب على طلب يدي من والدى وفقا للتقاليد الرجعية •

قلت من هو ذاك الشاب ••• ما اسمه ••• ما شأنه ••• من والده ووالدته ••• ما مركزه فى الهيئة الاجتماعية ؟؟

اجابت بتأفف وتململ : ما لك يا أبى ولهذه الاسئلة الطويلة العريضة ، لقد عرفت الشاب وعرفنى ، وتعاهدنا على الزواج ، ورضينا ان نتعاون على شق طريقنا فى الحياة بدون ما مساعدة من احد، ولكن مع الاسف ان خطيبى ما زالت فيه بعض رواسب عتيقة بالية من تقاليد سخيفة ، وكل ما اطلبه منك أن توافق على طلب الشاب متى حضر اليك • اما والدتي فقد عرفته ، وفرحت به ، وباركت خطبتنا •

قال صاحبى وقد ترك خرطوم النارجيلة يسقط من يده ـ بلعت ريقى من الغصة المفاجأة وقلت لابنتى العصرية خريجة الجامعة أن تقول لامها انى لست بصاما ولا أوقع على بياض • لقد تنازلت لأمك يا ابنتى عن واجباتى كرب أسرة ، وعن حقوقى كرجل، اما ان أرضى بزواجك من شاب لا اعرفه ، ولا اعرف كيف جئت به ، وكيف رضيت به أمك ، فهذا ما لا ارضاه ولا اوافق عليه بتاتا .

اصطبغ وجه ابنتى بحمرة الخجل وقالت وهى تتلعثم : صحيح يا أبى انى اعمل بانشاص ، وانى وأمى اتفقنا على تلفيق هذه الحكاية لاعتقادنا بانك ألقيت عن كاهلك أمورنا كلها ، وانك بدافع من أنانيتك ، وتفردك فى حب ذاتك • ابتعدت عن زوجك وأولادك ، وصرت تترك البيت فى الصباح ولا تعود اليه الا بعد ياخذنا النوم ، ولكن لا علينا من هذه المسالة الخاصة بك وبأمى ، ولا من هذه الخصومة الأزلية الأبدية فى حياتكما الزوجية ، والتى سببت لنا نحن أولادك حالة نفسية تختلف عند كل واحد منا باختلاف مداركه ، والآن اعترف لك يا أبى بالحقيقة وهى أنى عرفت شابا اتفقت معه على الزواج • وانك سترضى عنه متى عرفته ، وسوف تحبه كما أحببتنى دون أن تظهر لى حبك الابوى •

قلت لابنتى التى تتوهم أن شيخوخة قلبى تماشى شيخوخة عمرى، وأن التقدم فى السن يجعل الشيوخ ينظرون الى الوراء لا الى الامام ، يتنكرون على الجيل الجديد توثبه وتقدمه ، قلت لها ان الخبرة المكتسبة من أحداث العمر الطويل تجعل الأحكام على الامور والاشياء أدنى الى الصحة وأقرب الى الحقيقة ، وبرغم ذلك فانى أترك لك مطلق الحرية فى اختيار رجلك بشرط ان تعفينى من لقاء هذا الشاب ، وأن تتحملى انت وأمك عواقب هذا الزواج العصرى ، ثم وعدتها ـ وقد بلغت سن الرشد ـ باعطائها دفتر حسابها المدون باسمها فى مصلحة صندوق البريد فيه مبلغ من المال يساوى على التمام مبالغ أخوتها الذكور من حقهم فى ارث مالى المدخر لهم •

قالت لى ابنتى بعد أن قبلتنى ـ وهى القبلة الاولى على ما أذكر ـ أبق هذا الدفتر معك يا أبى فانى سأعود اليك لآخذه وقالت سوف أعمل كل ما يرضيك وانصرفت بعد أن اكدت لى انها ستثنى خطيبها عن عزمه فى طلب يدها منى • وعاد يتحسس خرطوم النارجيلة يعيده الى فمه •

كنت أنظر الى صاحبى بذهول ، وقد بلغت بى الدهشة والاستغراب من تصرفه فقلت أسأله ثم ماذا بعد انصراف ابنتك ؟

اجاب بعد أن سحب سحبة عامرة من نارجيلته ، كنت أتنسم أخبارها فى المختبر الذرى ، ولى فيه أصدقاء ومعارف • ولم يكن يحفزنى الفضول على السؤال عنها فى البيت لأنى كنت اسمع اصوات من فيه وتهارجهم ولا أراهم لأنهم كانوا يتوارون عنى !

لست أدرى كم من الشهور مضت على حديث ابنتى معى ، ولا كم من الايام الطوال قضيت لياليها فى بيتى وكأنه الدير المهجور ، ولكنى ما كنت أتململ ولا أتضجر ولا أشكو الى احد • لقد حبانى الله يا صاحبى نعمة حب قراءة الكتب ، أقرأ الكتاب مرة ثم مرة ثانية فثالثة وكنت أشعر فى المرة الثالثة بأنى أكثر فهما لروح الكتاب ومؤلفه من المرتين السابقتين •

لم يكن عملى يستوجبنى التعب أو العناء ، وصرت أقسم أوقاتى ، ومن هذه التقاسيم ساعة او أكثر من ساعة اقضيها فى هذا المقهى ، أدخن النارجيلة، أجعل كركرة مائها رهوة ، ودخان طباقها سحابا رقيقا ، وطعمه رطبا ، ونكهته طيبة ، وفعله منحدرا يتناسب مع التفكير الهادئ، وسبحات الذهن فى التخيل •

وحدث ذات مساء أن اقترب منى نادل القهوة يدل على شابا يسأل عنى • حيانى الشاب تحية باسمة وقال أنا اسمى جابر ابراهيم ، وأن فى السيارة قرب باب المقهى سيدة ترغب فى رؤيتك ، وكانت تود أن تدخل هى لتراك لولا ان هذا المكان خاص بالرجال، ولولا أن طفلها الرضيع معها •

لا أدرى يا صاحبى أى دافع لو لبى دفعنى الى

النهوض ، او اى مس كهربائي جعلني أقفز فأتقدم الشاب نحو الباب ... رأيت رأس سيدة يبرز من نافذة السيارة تناديني بابا تعال! وشعرت بيد كبيرة تدفعني برفق الى الدخول !!

وقفت كالمأخوذ ... لم اجفل فاتراجع ، او أتردد أو اندفع ... التفت الى الشاب الذى أسرع الى فتح باب السيارة أرجو منه أن يرفع كفه المبسوطة على ظهرى ... لقد انجذبت نظراتي الى نظرات ابنتي الباسمة .... بابا تعال تعال .... شعرت بكل خلجة من خلجاتي تنفتح ، وبوجداني يفيض بالحنان على ابنتي .... صعدت الى السيارة .... قبلت ابنتي يدي وخدى .... فاضت الدموع من عيني وقد كفكفتها لأرى وجه الطفل في حضنها .

لم أحس بالسيارة تدرج بنا الا حين وقفت الى جانب بناء شامخ ، لم نتوسل درجه بل رفعنا المصعد الى الطابق العالي ، دخلنا الشقة النظيفة تزين أركان مدخلها أواني الزهور وتتحلى جدرانها رسوم زيتية فنية .

صوبت نظرة استفهامية عرفت ابنتي مغزاها فقالت : لا تلم أمي يا والدى العزيز لانها تمثل جيل أمها وبيئة نشأت في وسطها لذلك ما فهمتك ولن تفهمك أبدا ، ولانك عجزت أنت عن تكييفها وطبعها بطابعك ، ولا تلمني يا ابى لاني ملزمة بحكم غريزتي اتباع ارشادات أمي ، أما الآن وقد أصبحت مسئولة عن زوجي وولدى وبيتي ، قادرة على تمييز ما كنت تريده أنت ولا ترضى به أمي ، وعلى ما كنت تراه صوابا ، فتراه هي وتراه نحن معها الخطأ بعينه،فصار من الواجب على استغفارك يا ابى عن ماضى أقعدني بانحيازى الى الجانب الذى يجافي الصواب ، وأن لا يغرب عن بالك أن زوجتك هي أمي .

كنت أستمع الى ابنتي ، بينما ارتد بى الفكر الى الوراء الى ثلاث وعشرين سنة ، الى يوم ولادة ابنتي، ابنتي هذه، التى تحدثني حديث منطق سديد، والتى كانت بلغت الثانية من عمرها ولا نسمع لها ، أنا وامها ، صوت بكاء أو تغريدة طفل ، وكنا نظن أنها بكماء ، وانها لما تجاوزت السنة الثانية اخذت تتكلم تتكلم كطفل في سن الرابعة أو الخامسة ، تخرج الكلمة اخراجا سليما ، وتسمى الاشياء تسمية صحيحة ، وكنت أقول في سرى انها ظاهرة الجيل الجديد .

وراحت ابنتي تكلمني عن زوجها ، وهو زميلها ورئيسها في معامل الاختبار الذرى ، وعن حياتهما في العمل وفي عش الزوجية ، وأنهما لا يشكوان الا من أمر واحد سوف يطلعاني عليه وان كانا يعرفان مقدما أن لا قدرة لي على مساعدتهما في هذا الامر العسير ، وتكلمت أيضا عن المستقبل السعيد الذى يرجوان تحقيقه لصالح الأمة والوطن ، ولصالحهما الذاتي أيضا ، وقالت عن زوجها انه قفز من مقاعد العمال الى مجالس العلماء الباحثين ، واني بتآزرى معه ومساعدتي اياه على استيعاب النظريات من الكتب العلمية ، سوف نتوسل بمشيئة الله الى ما لم يصل اليه بعد علماء العالم .

لقد رطب هذا الخبر صدرى وأيقظ بى كامن الفخار ، وكان زوجها دائم التطلع الى زوجته وهو يبتسم اما سيماء الحياء فقد كان باديا في وجهه ، وعندها فقط أدركت معاني العمل وكفاءات العمال ، وقد باركت من أعماقي زوج ابنتي العامل . ولما هممت بالانصراف قالت لي ابنتي وهي تنظر الى زوجها ، ان الامر العسير الذى قلت لك اني ساطلعك عليه هو أني رجوت من والدتي أن تقلل من زياراتها لنا ، وأن تدعني وزوجي تدبر أمورنا بنفسنا ، وأن نصلح أخطاءنا دون تدخلها في أخطائنا ، وألا تفرض علينا ارادتنا وقد هدمت بارادتها حياتك يا والدى المسكين .

صمت عند سماع شكاية البنت من أمها، واعترافها الضمني بأني لم أكن ابا انانيا محبا لذاته ، وابتسمت ابتسامة من لا حيلة له ، عندها سمعت زوج ابنتي يقول : لقد قرأت في كتاب من كتب الادب أن ابتسامة المرأة هي سر جمالها ، وأن ابتسامة الشيخ هي سر حكمته، اما ابتسامة الطفل فهي السر الذى يفتح النافذة التى تطل على الحياة . قلت أن ابتسامة أخرى لم تذكرها يا صهرى العزيز وهي أن ابتسامة الرجل هي سر ثقته بنفسه . أما المخلوق الآدمي الذى لا يبتسم بل يكشر فهو والضوارى سواء .

في هذه اللحظة سمعنا بكاء الطفل حفيدى ينادى امه بالبكاء فهرولنا كلنا الى مهده ، ولما رأى أمه ابتسم لها وهلل فعندها شعرت بأن الدنيا تبتسم لي .

قلت لابنتي وزوجها عند توديعهما : ليبارككما الله يا ولدى فقد فتحتما بابا جديدا يشرف على سماء حياتي الجديدة .

حبيب الزحلاوى

الدار القومية للطباعة والنشر